



الفصل التاسع

الجغرافيا السياسية لإقليم البلقان

الأستاذ الدكتور

حسن عبد القادر صالح

أستاذ الجغرافيا السياسية، جامعة مؤتة، عمان



الجغرافيا السياسية لإقليم البلقان

أ.د. حسن عبد القادر صالح (*)

مقدمة:

مفهوم إقليم البلقان:

يختلف الباحثون في تحديد مفهوم إقليم البلقان، فبعضهم حدد البلقان أثناء فترة الحرب الباردة بالدول الشيوعية في أوروبا الشرقية؛ مستبعداً اليونان، ومتجاهلاً تركيا. وبعضهم الآخر استبعد المجر، وكرواتيا، والنمسا من البلقان. ولأغراض هذه الدراسة؛ فإننا نستبعد كلاً من النمسا والجانب التركي الأوروبي، ونُبقي على كل من يوغسلافيا (صربيا، والجبل الأسود)، والبوسنة والهرسك، وألبانيا، وبلغاريا، وكرواتيا، واليونان، والمجر، ومقدونيا، ورومانيا، وسلوفينيا.

وتقع الوحدات السياسية سالفة الذكر في شبه جزيرة البلقان المتفرعة من الركن الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا، وهي شبه جزيرة مثلثة الشكل، قاعدتها في الشمال ورأسها في الجنوب، وتحيط بها المياه من ثلاثة جوانب متمثلة في (البحر الأسود، وبحر إيجه، والبحر المتوسط، والبحر الأدرياتيكي)، وتزيد مساحة البلقان عن مساحة الجزر البريطانية، أو عن مساحة ولاية تكساس بقليل.

وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى سلسلة جبال البلقان في بلغاريا، وهذه التسمية تُركِّية تعني في اللغة العربية «المرتفعات الجبلية الغابية».

ويمكن أن نصنف دول البلقان من حيث المساحة إلى الفئات التالية^(١):

- دول متوسطة المساحة؛ تتجاوز مساحتها (١٥٠) ألف كم^٢. وتشمل رومانيا.

- دول صغيرة المساحة؛ تتراوح مساحتها ما بين (٢٥ - ١٥٠) ألف كم^٢. وتشمل اليونان، ويوغسلافيا، وبلغاريا، والمجر، ومقدونيا، وألبانيا، والبوسنة والهرسك، وكرواتيا.

- دول صغيرة جداً؛ تقل مساحتها عن (٢٥) ألف كم^٢. وتشمل سلوفينيا.

أهمية موضوع الدراسة:

يحظى إقليم البلقان بأهمية كبيرة منذ القديم؛ إذ إنه يتمتع بميزات موقعية تجعله محط أطماع القوى الدولية، كما أنه يشكل جسراً يربط بين قارتي آسيا وإفريقية مع القارة الأوروبية، ويجمع هذا الإقليم البرمائي بين

(*) أستاذ الجغرافيا السياسية، جامعة مؤتة، عمان.

(١) الدويكات، قاسم، الجغرافيا السياسية، جامعة مؤتة، عمان ٢٠٠٢م، ص ١١٣.



التوجيه الجغرافي البري نحو دول شرقي أوروبا ووسطها، والتوجيه الجغرافي البحري نحو دول العالم القديم والعالم الجديد عبر البحر المتوسط الذي يُعدُّ طريقاً بحرياً رئيساً للتجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وخلال فترة الحرب الباردة كان هذا الإقليم الحيوي من الناحية الاستراتيجية مسرحاً لتلاقى فوق أرضه مؤثرات كل من دول الكتلة الشرقية الاشتراكية، ودول الكتلة الغربية الرأسمالية . فهناك كيانات سياسية ارتبط بعضها بالكتلة الشرقية بانضمامها إلى حلف وارسو؛ مثل بلغاريا، ورومانيا، وألبانيا، والمجر . وارتبط بعضها الآخر بالكتلة الغربية بانضمامها إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)؛ مثل اليونان، وتركيا . وبين الطرفين المتناقضين ظهرت يوغسلافيا دولةً اتحاديّة ذات نظام محايد وبارز بين دول عدم الانحياز؛ مع أنها كانت اشتراكية .

وقد شهد بزوغ فجر النظام العالمي الجديد انحلال حلف وارسو، وتفكك اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية الاشتراكية، وظهور الحركات الانفصالية التي طالبت بالاستقلال عن الاتحاد، والتوجه نحو الديمقراطية في ظل النظام العالمي الجديد .

وتكمن أهمية موضوع البلقان في مسألة البلقان في الماضي والحاضر والمستقبل، فهي مسألة معقدة؛ لأن قضية البلقان قضية جغرافية وديموغرافية معقدة؛ بسبب تعدد جوانبها؛ خاصة (الإثنية) منها والمذهبية ببعديها الديني والسياسي . وإلى جانب كون إقليم البلقان بوابة أوروبا من الشرق؛ فإنه مُلتقى لثقافات تتحاور أحياناً وتتصارع أحياناً أخرى، وهو مجمع للصراعات الداخلية والمحيطية، كما أن أراضيه ذات طبيعة جغرافية معقدة، ويتعرض لمؤثرات خارجية تنعكس سلبياً على العلاقات المحليّة بين السكان فيه . وما المشكلات الراهنة التي يعاني منها هذا الإقليم إلا امتداد لمشكلات تاريخية ترسخت جذورها مع مرور الزمن في أراضي الإقليم لتُنبت مشكلات معاصرة ذات أصول تاريخية ومؤثرات خارجية .

مشكلة الدراسة وأهدافها:

ترتبط مشكلة الدراسة بأهمية منطقة الدراسة من حيث: موقعها الجغرافي، وتنوع مواردها وأعرافها ودياناتها ولغاتها، فهي تتعرض إلى الأطماع الخارجية، ومن ثم إلى توالي التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية، وينشط هذا التدخل مع تردي العلاقات القائمة بين المجموعات الإثنية والدينية؛ إذ يجد له بيئة خصبة يتعرع فيها منتهزاً فرصة حدوث المنازعات بين المجموعات المتنافرة .

والجدير ذكره أن معظم شبه جزيرة البلقان يقع في المنطقة البرمائية التي ورد ذكرها في نظريّة القوى البرية لسيير هالفورد ماكيندر؛ الأمر الذي يترتب عليه تعرض الإقليم إلى صراع تتكالب القوى البرية والبحرية عليه . فالقوى البرية تحاول السيطرة عليه للوصول بنفوذها إلى المياه الدفيئة في البحر المتوسط، بينما تحاول القوى البحرية الدخول إلى الإقليم للسيطرة عليه والاستفادة من ميزات الموقعيّة؛ في إحكام الحصار على القوى البرية



لمنعها من التوسع بنفوذها نحو الجنوب .

وقد كان للطبيعة الجبلية للإقليم دور في عزل المجموعات العرقية عن بعضها، والحد من الاختلاط والتفاعل بين ثقافات المختلفة؛ مما يعطي صفة الاستقلالية لكل مجموعة ويشجع عليها، ويصبح من العسير على أي مجموعة تحقيق سيادة كاملة، أو التوسع بنفوذها للسيطرة على المجموعات المجاورة لها، وإذا حاولت ذلك؛ فإنها سرعان ما تواجه مقاومة شرسة من المجموعات الأخرى .

بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الإقليم يتعرض منذ القديم وحتى الوقت الحاضر إلى فترات متعاقبة من النزاعات والحروب والهدوء والاستقرار؛ إذ يتحول الإقليم إلى برميل بارود يتفجر كلما نشبت الخلافات والصراعات بين العرقيات والديانات والمذاهب المختلفة، ويشيع الهدوء والاستقرار النسبي كلما تقاربت المجموعات البشرية وتجاوزت فيما بينها لتحقيق نوع من التعايش السلمي والعلاقات الإيجابية أحياناً، ولتقييم نوعاً من الاتحاد الفيدرالي أحياناً أخرى .

ولا نستطيع أن نغفل انتشار الإسلام في إقليم شبه جزيرة البلقان، وما ترتب على ذلك من الحروب التي شهدتها بين الإمبراطورية العثمانية من جهة، وكل من الإمبراطورية الروسية في عهد القيصرية، وإمبراطورية النمسا والمجر من جهة ثانية . وقد حاول العثمانيون فتح أوروبا الشرقية والوسطى عبر البلقان، وتم لهم فتح البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، فبلغارياً فُتحت في عام ١٣٩٦م، وبلاد الصرب فُتحت عام ١٤٦٠م، وبوخارست عاصمة رومانيا فُتحت عام ١٤٦١م، وفتحت البوسنة عام ١٤٦٢م، وألبانيا عام ١٤٦٧م، والمجر وعاصمتها بودابست عام ١٥٢٦م .

هذه البلاد وغيرها لم يفتحها المسلمون طمعاً بالثعب والسلب كما هو شأن الدول الاستعمارية، بل كان الهدف يتمثل في حمل رسالة الإسلام إلى الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام . ولم تسكت أوروبا عن المد الإسلامي في البلقان، بل أخذت تقاومه وتحارب تقدمه منذ ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر، وقد انعكس الحقد الأوروبي على الإسلام والمسلمين وتحول إلى انتقام منهم كلما سنحت الفرصة لهم للانقضاض على المسلمين . وجاءت الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمة الإمبراطورية العثمانية وتقسيم تركتها بين الدول الأوروبية، وكانت الفرصة سانحة لسيطرة الصرب على المسلمين في البلقان، والتحكم في مصيرهم لكي لا تقوم لهم قائمة، وتشهد أعمالهم الإرهابية على ذلك منذ أوائل التسعينيات من القرن العشرين حتى الوقت الحاضر . وتظاهر الدول الأوروبية وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تدافع عن حقوق الإنسان ومن ثم عن حقوق المسلمين الذين تعرضوا للعدوان والبطش والتنكيل الصربي، ولكنها في الحقيقة تغمض عيونها عن كل ذلك، ولا تتحرك إلا بعد فوات الأوان لتتدخل في شؤون البلقان الداخلية تحت ذريعة حماية المسلمين هناك .



وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح المكانة الاستراتيجية لشبه جزيرة البلقان ، كما تهدف إلى إبراز أثر طبيعة الأرض الجبلية لإقليم البلقان في تدعيم النزعة الاستقلالية للمجموعات العرقية ، وإلى تحليل أثر التفاوت العرقي واللغوي والديني بين فئات سكان الإقليم في تشجيع القوى الخارجية على التدخل في شؤونها .

وبناءً على الأهداف السابقة ؛ فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن السؤالين الآتيين :

- أين تقع شبه جزيرة البلقان في نظريات الاستراتيجية الكوكبية؟

- ما الأبعاد الجيو سياسية لشبه جزيرة البلقان؟

البلقان في نظريات الاستراتيجية الكوكبية:

تستمد النظريات الاستراتيجية الكوكبية مقوماتها الأساسية من متغيرات جغرافية سياسية وأخرى تاريخية . وتشتمل المتغيرات الجغرافية على مدخلات الأنظمة الأرضية ، والمناخية ، والمائية ، والحيوية ، والاقتصادية ، والديموغرافية ، والاجتماعية . بينما تشتمل المتغيرات التاريخية على مدخلات الأنظمة السياسية ، والاجتماعية ، والبيئية ، والعسكرية ، والإدارية .

ويمكن أن نقسم نظريات الاستراتيجية الكوكبية إلى نظريات القوى البرية ، والقوى البحرية ، والقوى البرمائية ، والقوى الجوية (الفضائية) . وسنكتفي بالنوع الأول والثاني من هذه النظريات ؛ لتتعرف إلى علاقتهما بالبلقان من الناحية الاستراتيجية .

أولاً: نظرية القوى البرية:

تُعرف هذه النظرية باسم صاحبها الذي وضعها وهو السير هالفورد ماكيندر (١٨٦١م-١٩٤٧م) الجغرافي السياسي البريطاني ، وتُعرف أيضاً باسم (نظرية قلب العالم) ، أو (نظرية المحور الجغرافي للتاريخ) ، لقد قسم ماكيندر العالم إلى ثلاثة أقسام استراتيجية كبرى ، وهي (١) :

١- قلب الأرض أو قلب العالم : ويقع ضمن أراضي روسيا الاتحادية ، وأوروبا الشرقية ، والجزء الشمالي من إقليم البلقان .

٢ - الهلال الداخلي المحيط بقلب العالم : ويشمل كل أطراف أوراسيا ، أي أوروبا الغربية (ما عدا بريطانيا) ، وإيطاليا ، والجزء الجنوبي من إقليم البلقان ، والوطن العربي ، والعالم الإسلامي في جنوبي آسيا ، والهند ، والهند الصينية ، والصين ، وكوريا . ويطلق على هذا الهلال الداخلي اسم منطقة الارتطام أو الالتحام أو المنطقة البينية ؛ حيث إنه يحيط بقلب العالم ، ويحاط بالهلال الخارجي

(1) Mackinder H., The Geographical Pivot of History. Geog. Jour. Vol. 23, 1904, pp. 421-444.



٣- الهلال الخارجي: ويحيط بالهلال الداخلي الذي يحيط بدوره بقلب العالم، ويشمل الأمريكيتين، وإفريقيا الجنوبية، وأستراليا، وبريطانيا، واليابان.

لقد رأى ماكيندر أن محور الصراع يدور حول المنطقة البينية، وهي الهلال الداخلي (القوى البرمائية)؛ حيث تصبح هذه المنطقة مسرحاً للارتطام والالتحام بين القوتين المتصارعتين عليه، وهما قوة البر المتمثلة في قلب العالم، وقوة البحر المتمثلة في الهلال الخارجي. كما رأى ماكيندر أن قلب العالم له من الموارد الطبيعية والاقتصادية والبشرية ما يؤهله لأن يستحق هذه التسمية؛ إذ اجتمعت له عدة عوامل تؤهله للصدارة العالمية، وأهم هذه العوامل ميزة الدفاع في العمق والحماية الطبيعية؛ حيث إنه يحاط بصحاري جليدية في الشمال، وصحاري رملية في الجنوب، ومرتفعات جبلية وهضاب صحراوية في الشرق والجنوب. وتتميز هذا الإقليم أيضاً بكونه مضخة قوية يدفع بالجماعات البشرية تلو الأخرى نحو منطقة الهلال الداخلي للسيطرة عليها والاستفادة من مواردها.

وبناءً على المتغيرات الجغرافية والتاريخية سألقة الذكر؛ وضع ماكيندر بنود نظريته على النحو التالي:

أ- من يحكم أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم.

ب- ومن يحكم قلب العالم يسيطر على أوراسيا (الجزيرة العالمية).

ج- ومن يحكم أوراسيا يسيطر على العالم.

وفي الحرب العالمية الثانية حاولت ألمانيا السيطرة على قلب العالم باكتساحها دول أوروبا الشرقية واحتلالها لها لتنتقل منها في محورين للهجوم؛ أحدهما يتجه صوب روسيا الأوروبية؛ حيث دارت رحى معركة ستالينجراد. والثاني يتجه صوب البلقان في عملية التفاف للانطلاق منها نحو أراضي الاتحاد السوفيتي؛ غير أن هزيمة ألمانيا في الحرب حالت دون تحقيق أهدافها. وقد تحققت نبوءة ماكيندر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما تحالفت دول أوروبا الشرقية بما فيها ألمانيا الشرقية مع الاتحاد السوفيتي من خلال حلف وارسو، وأصبح للسوفييت أكبر قوة برية تسيطر على قلب العالم وتشكل تهديداً مباشراً لشبه جزيرة البلقان؛ الأمر الذي دفع القوى البحرية الغربية إلى إقامة سلسلة من الأحلاف العسكرية بينها وبين دول الهلال الداخلي، وكان على رأسها حلف شمال الأطلسي (الناتو) الذي قبل في عضويته آنذاك بعض دول البلقان مثل اليونان وتركيا. ويحاول هذا الحلف حالياً توسيع دائرة نفوذه بقبول بعض الدول الأخرى التي كانت تنضوي تحت لواء حلف وارسو خلال الحرب الباردة؛ مثل رومانيا، والمجر.

ثانياً: نظرية القوى البحرية:

يطلق عليها أيضاً اسم نظرية (ماهان) نسبة إلى صاحبها ألفرد ماهان (١٨٤٠ - ١٩١٤ م) القائد البحري الأمريكي. وتعالج هذه النظرية أثر القوى البحرية في السيطرة السياسية والعسكرية على العالم، ورأى ماهان



أن القوى البحرية هي التي ستسود العالم، واعتمد في نظريته على أدلة تاريخية حول علاقة البحر بالاستكشافات الجغرافية والاستعمارية، وكيف أن الدول البحرية هي التي استطاعت أن تبني الأساطيل البحرية الضخمة، وأن تؤسس الإمبراطوريات الاستعمارية، وأن تسيطر على الممرات المائية، ومواقع الجزر في البحار والمحيطات لتأمين طرق مواصلاتها⁽¹⁾.

وتنبأ (ماهان) بأن تحالف الولايات المتحدة الأمريكية مع المملكة المتحدة (بريطانيا) سيحقق لهما السيطرة على العالم باستخدامهما قواعد عسكرية تحيط بأوراسيا؛ وبخاصة في اليونان وتركيا اللتين تشاركان كعضوين في حلف شمال الأطلسي. وفي أعقاب تفكك اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية، وما تمخض عن ذلك من نشوب الحروب داخل البلقان في البوسنة والهرسك، وفي إقليم كوسوفو - تمكنت القوى البحرية المتمثلة في دول حلف شمال الأطلسي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من المشاركة في هذه الحروب، وبسط هيمنتها على إقليم البلقان كجزء من سياستها الرامية إلى الهيمنة على العالم.

وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية البحر الأدرياتيكي وبحر إيجه؛ إضافة إلى الجزء الشرقي من البحر المتوسط في الحروب التي دارت في البلقان خلال التسعينيات من القرن العشرين؛ عندما أرسلت سفنها الحربية وحاملات الطائرات إلى هذه المواقع المحيطة بالبلقان للمراقبة، والسيطرة على الممرات المائية، ولانطلاق طائراتها من الحاملات لضرب أهدافها العسكرية في صربيا، والجبل الأسود، وكوسوفو، والبوسنة والهرسك، وتمكنت من إجبار صربيا على الإذعان والقبول بوجود قوات حلف شمال الأطلسي في كوسوفو.

لم تكن نظرية الصراع بين القوى البرية والقوى البحرية على إقليم البلقان الذي يقع طرفه الشمالي في قلب العالم، بينما يقع معظم أجزائه في المنطقة البينية (الهلال الداخلي) حسب نظرية ماكيندر؛ لم تكن وليدة هذا العصر فحسب، بل إنها طبقت عملياً في الماضي، ويمكن عدّها أساساً لفهم التاريخ والاستراتيجية العالمية في العالم القديم.

ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة على تكالب قوى البر والبحر على إقليم البلقان في الماضي، فالسلاف والجماعات الهندوأوروبية قدمت إلى الإقليم على شكل موجات من الغزو البربري في أواخر عمر الإمبراطورية الرومانية. وقد تكالبت الأمم القوية في الماضي على إقليم البلقان للسيطرة وفرض سيادتها عليه، وكانت أقدمها إمبراطورية الإغريق التي كان الإقليم يشكل المركز الرئيس لها، والإمبراطورية المقدونية التي قامت في البلقان، والإمبراطورية الرومانية التي كان إقليم البلقان يجاور مركزها في روما بإيطاليا، والتي ورثتها الإمبراطورية البيزنطية في أوروبا الشرقية، وبعدها جاءت الإمبراطورية العثمانية لتستخدم البلقان قاعدة انطلاق لها نحو

(1) A- Mahan A., The Influence of Sea Power Upon History (1660-1783), Boston, 1890.

- 2nd- Mahan A., The Influence of Sea Power on French Revolution and Empire (1793-1812), Boston, 1892.

- 3rd- Mahan A., Sea Power in its Relation to the War (1812).



التوسع في أوروبا الشرقية والوسطى .

وقد شهد إقليم البلقان صراعاً للسيادة عليه بين قوى دولية كبرى آنذاك؛ تمثلت في الإمبراطوريات العثمانية والروسية والنمساوية المجرية (إمبراطورية هابسبورغ)، وكانت أراضيها مسرحاً لتلاقح فوقه هذه القوى لتعايش أحياناً، ويصطدم بعضها مع بعض أحياناً أخرى، فالعثمانيون اندفعوا نحو الغرب وتمكنوا من السيطرة على غالبية البلقان، واندفع الروس نحو الجنوب الغربي وتمكنوا من السيطرة على الأجزاء الشمالية الشرقية من البلقان، واندفع النمساويون نحو الجنوب الشرقي وتمكنوا من السيطرة على الأجزاء الشمالية الغربية من البلقان .

وقبل ذلك حاول المغول الوصول إلى البلقان أثناء غزوهم لجنوب شرقي أوروبا في العصور الوسطى، وكانت هذه المحاولة غير الناجحة تشكل واحدة من الغزوات المغولية؛ إذ تعرّض إليها أيضاً إقليم المشرق العربي، وإقليمي شبه القارة الهندية والصين في العصور الوسطى . وإذا كان المغول قد نجحوا في إقامة إمبراطورية مغولية لهم في كل من الهند والصين؛ فإنهم أخفقوا في تحقيق أحلامهم بإقامة إمبراطورية لهم في جنوب غربي آسيا، وجنوب شرقي أوروبا . ومع ذلك فقد نجح البنادقة الإيطاليون في العصور الوسطى في السيطرة على السواحل الغربية المطلّة من البلقان على البحر الأدرياتيكي .

وفي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين شهد إقليم البلقان صراعاً على النفوذ بين القوى البرية المتمثلة في روسيا القيصرية، والقوى البحرية المتمثلة في بريطانيا وفرنسا، وحاولت هذه القوى المتصارعة التسلل إلى إقليم البلقان في أواخر العهد العثماني؛ بحجة حماية الأقليات والطوائف الدينية من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، وقد اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى من قلب البلقان، وخاصة من البوسنة والهرسك؛ مما يؤكد شدة التنافس الدولي على هذا الإقليم .

وخلال الحرب العالمية الثانية قامت ألمانيا باحتلال أجزاء من البلقان في محاولة منها لتطويق الاتحاد السوفييتي، وفي أعقاب الحرب شهد الإقليم منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين تنافساً ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وحاولت الولايات المتحدة جذب يوغسلافيا الشيوعية للمعسكر الغربي، وإبعادها عن الانضمام إلى حلف وارسو من خلال المساعدات الاقتصادية .

وتجنباً للتنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على النفوذ في يوغسلافيا؛ لجأت الأخيرة إلى التنسيق مع كل من الهند ومصر لعقد مؤتمر في بانديونج بإندونيسيا عام ١٩٥٥م لإرساء قواعد الحياد الإيجابي بين دول الهلال الداخلي أو المنطقة البينية، وتلا ذلك ظهور حركة (دول عدم الانحياز) للدفاع عن مصالح الدول النامية التي يقع كثير منها في المنطقة البينية، ولتكون وسطاً بين معسكري الحرب الباردة .

وفي عام ١٩٩٩م عاد التنافس من جديد بين الدول الغربية البحرية ودولة روسيا الاتحادية البرية في



البلقان؛ إذ قامت الأخيرة بدعم يوغسلافيا (صربيا، والجبل الأسود) والوقوف إلى جانبها أمام تدخل دول حلف شمال الأطلسي في مشكلتي البوسنة والهرسك وكوسوفو، وحرصت على أن يكون لها وجود عسكري في قوات حفظ السلام داخل إقليم كوسوفو.

الأهمية الجغرافية لدول البلقان:

تعتمد السياسات الجغرافية - وما يتبعها من استراتيجيات دولية أو إقليمية أو محلية - على دراسة الجغرافيا السياسية لدول إقليم شبه جزيرة البلقان، وتشكل الجغرافيا السياسية نظاماً إقليمياً له مدخلاته المتمثلة في المقومات الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية. ونستطيع من خلال تحديد هذه المقومات وتحليل عناصرها أن نتوصل إلى مخرجات النظام الجغرافي لدول الإقليم، والمتمثلة في التعرف إلى الشخصية الإقليمية، ومدى قوتها، ووزنها السياسي والعسكري، ومكانتها الدولية والإقليمية، وقدرتها على التأثير والتأثر بما حولها من مؤثرات، ويمكن أن تشكل المخرجات قاعدة بيانات مفيدة؛ تنطلق منها السياسات الجغرافية، ومن ثم الاستراتيجيات التي تترجم هذه السياسات إلى آليات عمل من العلاقات الدولية والإقليمية والمحلية.

أولاً: المقومات الجغرافية الطبيعية:

تتضمن دراسة الموقع الجغرافي، والملاح الطبيعية لشبه جزيرة البلقان؛ من أرض، ومناخ، ونبات طبيعي، ومياه.

الموقع الجغرافي:

تقع شبه جزيرة البلقان في الركن الجنوبي الشرقي من قارة أوروبا، وهي مثلثة الشكل، قاعدتها في الشمال ورأسها في الجنوب، وتحيط بها المياه من ثلاثة جوانب تتمثل في البحر الأدرياتيكي (غرباً)، والبحر الأسود ومضيق البوسفور والدردينيل وبحر مرمرة (شرقاً)، والبحر المتوسط وبحر إيجه (جنوباً).

وتسهم شبه الجزيرة في التوجيه الجغرافي نحو البر الأوروبي، فهي أكثر اتصالاً بالقارة الأوروبية وانفتاحاً عليها من مثيلتها شبه الجزيرة الإيطالية، وشبه الجزيرة الأيبيرية؛ واللتين تفصلهما جبال الألب وجبال البرينيه عن أوروبا على التوالي؛ إذ إن سلاسلهما يمتدان شاهقتين من الشرق إلى الغرب باستثناء بعض الممرات والأنفاق الجبلية المحدودة؛ بينما نجد أن جبال البلقان في بلغاريا، وجبال الكربات في رومانيا، وجبال الألب الدينارية - في كل من سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة وألبانيا - تمتد من الشمال إلى الجنوب، ولا تشكل عائقاً أمام النقل البري المتجه من البلقان نحو أوروبا أو العكس، ففي الجزء الشمالي الشرقي من البلقان تفضي سهول رومانيا إلى إقليم الإستبس في أوكرانيا، كما أنها تشكل ممراً طبيعياً سهلاً نحو القارة الأوروبية، وظل الغزاة يستعملون هذا الممر منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الوقت الحاضر. وفي الجزء الشمالي الغربي من البلقان يشكل كل من وادي الدانوب وسهل المجر معبراً سهلاً لحركة المرور بين أوروبا ومنطقة (شبه جزيرة البلقان)



موضوع الدراسة .

كما تُسهم شبه الجزيرة في التَّوجيهِ الجُغرافي نحو البحار المحيطة بها، والتي تُشكِّل مَنافذ إلى العالم الخارجي، ففي الشرق يُشكِّل مضيق البوسفور والدردنيل ممراً مائياً طبيعياً بين البلقان والأناضول، وفي الغرب تُطلُّ سواحل البلقان على البحر الأدرياتيكي لتقابل السواحل الإيطالية المُطلَّة عليه أيضاً، وتُشكِّل جُزر بحر إيجه والبحر المتوسط في الجنوب معابر ومحطات بحرية؛ للانطلاق منها نحو الشرق إلى بلاد الشام، ونحو الجنوب إلى كل من مصر وليبيا^(١).

ومن المناسب أن نُجري تقييماً لسواحل شبه جزيرة البلقان؛ لتعرف إلى مدى أهمية هذه السواحل بالنسبة إلى موقع البلقان:

ففيما يتعلق بخطوط السواحل؛ نجد أنها تتميز بتعرجها الذي يُسهم في تكوين الخلجان العميقة نسبياً؛ بحيث إن الظروف تكون مُواتية لقيام المرافئ على طول هذه السواحل.

وفيما يتعلق (بالنظير) أو ما يعرف بـ (الواجهة البحرية) لهذه السواحل؛ نجد أنها تصلح للملاحة البحرية طوال العام؛ لدفء مياهها وعمقها وهدوئها النسبي، ولكثرة الخلجان، وقلة حدوث العواصف والأثواء والضباب، ولصفاء السماء، وانخفاض نسبة التغييم. وأما (الظهير) أو ما يعرف بـ (المناطق الخلفية) للسواحل؛ فإنه يتفاوت من ظهير إلى آخر؛ إذ نجد أن الظهير السهلي الساحلي أكثر أهمية من الظهير الجبلي؛ من حيث طبيعة الأرض والمناخ والتربة والمياه والإنتاج الزراعي. والجدير ذكره أن جبال الألب الدينارية تمتد خلف ساحل البحر الأدرياتيكي، وهي مرتفعات ذات طبيعة جبلية وعرة تفتقر إلى الموارد الطبيعية؛ وبخاصة الأراضي الصالحة للزراعة والتربة الخصبة، ومن ثم فإنها منطقة ذات كثافة سكانية وعمرانية متخلخلة. وينعكس هذا الظهير الجبلي الفقير سلباً على السواحل المُطلَّة على البحر الأدرياتيكي؛ بحيث إنها تصبح قليلة الأهمية، وذات موانئ محدودة على الرغم من صلاحية النظير للملاحة البحرية.

ومما يسترعي الانتباه أن هناك تفاوتاً بين سواحل شبه جزيرة البلقان؛ من حيث القيمة الفعلية لكل ساحل، ويمكن أن نعزو ذلك إلى خصائص هذه السواحل؛ من حيث خطوطها ونظائرها وظواهرها. وينعكس ذلك في النهاية على قدرة هذه السواحل على تقديم الخدمات التجارية، والتسهيلات المطلوبة لها؛ كالموانئ والطرق التي تربط هذه السواحل مع المناطق الداخلية.

إضافة إلى ذلك؛ فإن دول البلقان تتفاوت فيما بينها من حيث حدودها؛ سواء كانت حدوداً برية أو بحرية. فهناك دول برية بحثة وليس لها حدود بحرية مطلقاً؛ مثل المجر والبوسنة والهرسك ومقدونيا، وتعاني

(1) A- Gottmann J., Geography of Europe. Holt, New York 1962, pp. 605-639.

ب- آل ثاني، فهد، البلقان مفتاح السيطرة العالمية، حولية كلية الآداب بجامعة قطر ٢٠٠٢م، ص ١١



هذه الدول الحبيسة من مشكلة الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق المنافذ البحرية؛ التابعة لها، وتضطر هذه الدول إلى عقد الاتفاقات مع الدول المجاورة لها ممن تملك سواحل على البحر الأدرياتيكي، أو بحر إيجه، أو البحر الأسود؛ لتتمكن من استخدام تجارة العبور عبر الأراضي المجاورة لها. وهناك دول برية بحرية ذات حدود برية أطول من الحدود البحرية؛ مثل رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وسلوفينيا، وهناك دول بحرية برية ذات حدود بحرية أطول من الحدود البرية؛ مثل كرواتيا وألبانيا واليونان.

وينعكس هذا التفاوت على اختلاف التوجيه الجغرافي بين دول البلقان؛ فالدول الحبيسة ذات توجيه بري، في حين أن الدول البرية البحرية ذات توجيه بري أكثر من التوجيه البحري، وأن الدول البحرية البرية ذات توجيه بحري أكثر من التوجيه البري.

ومما يسترعي الانتباه؛ أن الاتحاد اليوغسلافي فقد كثيراً من سواحله بعد أن تم تفكيك الاتحاد، ولم يبق له سوى ساحل قصير على البحر الأدرياتيكي، وإذا انسلخ الجبل الأسود (مونت نغرو) عن الاتحاد اليوغسلافي في المستقبل؛ فإن ذلك سيؤدي إلى تحويل يوغسلافيا (صربيا) من دولة ذات حدود برية بحرية إلى دولة برية حبيسة، ولعل هذا يفسر لنا تشبث صربيا بالإبقاء على الاتحاد، وعدم الموافقة على استقلال الجبل الأسود وانفصاله عن جسم الاتحاد.

الملامح الطبيعية:

الأرض:

تتألف أرض شبه جزيرة البلقان من هضبة البلقان التي تشكل القاعدة الأصلية الصلبة للإقليم، وقد تعرضت هذه الهضبة إلى طغيان مياه بحر (تيسس) عليها في بعض العصور الجيولوجية القديمة، وإلى انحسار مياهه عنها في عصور أخرى، وترتب على ذلك تراكم الإرسابات؛ سواء كانت من أصل بحري أو من أصل بري فوق سطح الهضبة. وتنتمي الهضبة إلى العصر الأركي (ما قبل الكامبري) بتكويناتها الغرانيتية الصلبة، وتُغطى بتكوينات قديمة تنتمي إلى حقبة الباليوزوي، تعلوها تكوينات أحدث تنتمي إلى حقبة الميزوزوي، وأخرى أحدث منها تنتمي إلى حقبة الكاينوزوي.

وأدت الحركات التكوينية إلى حدوث ضغوط جانبية على الهضبة؛ فتصدعت الأجزاء القديمة منها، وهبطت الأرض على طول الانكسارات، وفي الوقت نفسه تعرضت التكوينات الرسوبية إلى الالتواءات الخفيفة خلال الزمن الجيولوجي الأول، والالتواءات العنيفة خلال الزمن الثالث؛ فأما النوع الأول من الالتواءات؛ فإنه تعرض إلى عمليات التحات والتعرية، وتحوّل إلى سهول تحتية ذات أراضٍ متموجة. وأما النوع الثاني من الالتواءات؛ فإنه يتمثل في المرتفعات الجبلية التي تمتد فوق أطراف الهضبة من الناحية الغربية (جبال الألب الدينارية)، ومن الناحية الشرقية (جبال الكربات والبلقان).



وإذا ألقينا نظرة على الخريطة الطبيعية لشبه جزيرة البلقان؛ يتضح لنا أن صورة الأرض تبدو ذات طبيعة جبلية بشكل عام. ومع ذلك فإنه يمكن أن نقسم أشكال سطح الأرض إلى الوحدات التضاريسية الرئيسة التالية:

١- المرتفعات الجبلية: تُغطي المرتفعات الجبلية حديثة التكوين غالبية أراضي البلقان، وتمتاز بارتفاعها، وشدة انحدار سفوحها ووعورتها وعدم استقرارها؛ إذ تتعرض أحياناً إلى الهزات الأرضية والزلازل، وتمتد هذه المرتفعات من الشمال إلى الجنوب في البلقان، ويمكن أن نُميز بين المرتفعات الغربية والمرتفعات الشرقية:

أ- المرتفعات الغربية: تتألف من هضبة تُحيط بها السلاسل الجبلية الممتدة من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة البحر الأدرياتيكي، وتتفرع هذه السلاسل الجبلية من جبال الألب النمساوية والإيطالية في شمال غربي البلقان، وتتجه نحو الجنوب لتنتهي في جزر البحر المتوسط، ويطلق عليها اسم جبال الألب الدينارية في البلقان، والجدير ذكره أن أشكال سطح الأرض ذات طبيعة كارستية؛ إذ تكثر الكهوف والحواف الصخرية الحادة والأعمدة الصخرية المعلقة.

ب- المرتفعات الشرقية: تمتد في الأجزاء الشرقية من شبه جزيرة البلقان من الشمال إلى الجنوب، وتعرف باسم جبال الكربات في رومانيا، وجبال البلقان في بلغاريا، وتلتحم مع المرتفعات الجبلية في الأناضول، والمرتفعات الشرقية الأقل ارتفاعاً وانحداراً ووعورة من المرتفعات الغربية.

وتتميز طبوغرافية المرتفعات الجبلية في البلقان بوعورتها وعدم انتظامها؛ إذ نجد أن بعض أجزاء نظام البلقان يتألف من صخور كلسية طرية، بينما يتألف بعضها الآخر من صخور أولية بلورية أكثر صلابة ومقاومة للتعرية. وهناك بعض التداخلات البازلتية البركانية داخل التكوينات الصخرية؛ مما يؤكد عدم استقرار الأرض في البلقان، وتُسهم الانحدارات الشديدة لسفوح الجبال في تنشيط عملية التعرية؛ حيث تتخلل المرتفعات بعض الأودية والمنخفضات الداخلية^(١).

ولا شك أن وعورة الجبال المُحاذية للبحر الأدرياتيكي تُعرقّل حركة المرور والنقل، وتجعل هناك صعوبة ما بين السواحل المطلّة على البحر والمناطق الداخلية. ويُسهم هذا الوضع في زيادة نفقات وتكاليف إنشاء الطرق والجسور وصيانتها، وتنعكس الطبيعة الجبلية للبلقان على حياة السكان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ إذ أنها أدت إلى ظهور الوحدات الفيزيوجرافية الصغيرة شبه المنعزلة داخل المرتفعات الجبلية؛ الأمر الذي يساعد المجموعات العرقية على اللجوء إليها للاستقرار والحماية، كما أنها تشكل عوائق طبيعية تعرقّل الجهود الرامية إلى الضم أو التوسع الإقليمي، سواء كان لأغراض سياسية، أو لأغراض اقتصادية، أو لأغراض ثقافية، ولعل هذا يفسر لنا ميل المجموعات العرقية ورغبتها في العزلة بعضها عن بعض، والتمسك بثقافتها، واقتصادياتها المحلية، وسيادتها السياسية^(٢).

(1) Gottmann J., Op.Cit. pp. 605-639.

(٢) آل ثاني، فهد، مرجع سابق، ص ٤.



٢ - الهضاب: تتألف هضبة البلقان من عدد من كتل الهضاب الأصغر التي تنحصر بين السلاسل الجبلية المحيطة بها من الجانبين في إقليم المرتفعات الجبلية، وبالإضافة إلى الكتل الصلبة القديمة من الهضاب خارج نطاق المرتفعات الجبلية؛ توجد كتل منها داخل نطاقها، وأهم هذه الكتل ما يأتي^(١):

أ - الكتلة البانونية: وهي كتلة صلبة قديمة تمتد جنوباً حتى نهر سافا، وتمتد تحت الحوض البانوني داخل المرتفعات الجبلية الغربية والشرقية .

ب - كتلة رودوب: وهي تشبه الكتلة السابقة؛ من حيث إنها حددت اتجاه مرتفعات البلقان إلى الشمال منها، مثلما أنها حددت اتجاه جبال الألب الدينارية إلى الجنوب منها، وتمتد هذه الكتلة في جنوبي بلغاريا وشرقي مقدونيا .

ج - الكتلة السيكلادية: تشمل هذه الكتلة جنوبي أوييا وأنيكا ومجموعة جزر سيكلاديس، وهي التي شكلت قوس الجزر عبر كريت إلى كارباتوس وإلى رودس .

وقد تعرضت الهضاب إلى ضغوط جانبية بفعل الحركات التكتونية؛ مما أدى إلى حدوث الانكسارات وهبوط بعض الأراضي على جوانب هذه الانكسارات، وعلى سبيل المثال هناك انكسار عظيم يمتد من الشرق إلى الغرب في وسط اليونان، وتسبب في ظهور عدد من الهضاب المتتابعة التي تفصل بينها منخفضات عميقة البحر بعضها .

وتتكوّن المنخفضات والأحواض الطبيعية داخل هذه الهضاب، وتشكل مثل هذه الأحواض بيئات للاستقرار البشري وممارسة الزراعة . كما تعرضت إلى عمليات التحات والتعرية المائية التي أسهمت في تقطيع بعض أجزائها وتجزئتها إلى كتل هضبية أصغر . وتجري بعض الأنهار في خواتم عميقة داخل هذه الهضاب التي تتألف أساساً من الحجر الكلسي الطري . والجدير ذكره أن ظاهرة الكارست تسود في مثل هذه التكوينات الكلسية، وعلى سبيل المثال: فإن المظهر التضاريسي السائد في المنطقة الممتدة من لوبليانا إلى جبال الألب الألبانية؛ يتمثل في وجود هضبة كارستية عالية تتكون أساساً من صخور كلسية .

٣ - السهول والأودية النهرية: يمكن أن تميز بين السهول الساحلية المحاذية لكل من بحر إيجه والبحر الأدرياتيكي، وهي سهول ضيقة على العموم تنحصر بين أقدام الجبال والبحر باستثناء السهول الساحلية الألبانية التي تتسع في بعض نطاقاتها إلى أكثر من (٦٠ كم)، وكثيراً ما تتقطع بفعل توغل أذرع من أقدام المرتفعات الجبلية في البحر^(٢)، والسهول الساحلية المحاذية للبحر الأسود، ومضيق البوسفور، والدردينيل؛ في كل من

(١) الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٧٧م، ص ١٩١-١٩٥ .

(٢) الزوكة، محمد، أوروبا: دراسة في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٥٨١-٥٨٢ .



رومانيا وبلغاريا وتركيا الأوروبية على التوالي، وهي سهول فسيحة نسبياً وذات تربة خصبة، ومياه متوافرة، وإنتاج زراعي متنوع، ومراكز عمرانية ريفية وحضرية.

أما السهول الداخلية والأودية النهرية؛ فأهمها سهل رومانيا، وسهل المجر، وسهل يوغسلافيا الشمالي، ووادي الدانوب، ووادي مورافا، ووادي فاردار، ووادي ماريتزا. وتشكل هذه السهول والأودية النهرية مناطق زراعية مهمة لخصب التربة، وتوافر الموارد المائية فيها، إضافة إلى تجمع السكان والمراكز العمرانية، وطرق المواصلات، والمصانع فيها^(١).

المناخ والنبات الطبيعي:

يمكن أن نقسم شبه جزيرة البلقان إلى إقليمين مناخيين نباتيين، بينهما إقليم مناخي نباتي انتقالي، وهذان الإقليمان هما:

١ - إقليم مناخ البحر المتوسط ونباتاته: يتميز بأنه مناخ معتدل بصورة عامة، وهو حار جاف صيفاً، دافئ مطر شتاء، ويمتد هذا الإقليم فوق المرتفعات الجبلية المطلة على البحار، وفي السهول الساحلية أيضاً، وتهطل الأمطار الشتوية بفعل مرور المنخفضات الجوية التي تصحبها رياح جنوبية غربية رطبة، وهي أمطار خريفية وشتوية وربيعية، وتسقط الثلوج أحياناً في الشتاء فوق الجبال. وتستقبل السهول الساحلية المحاذية للبحر الأدرياتيكي والمرتفعات الجبلية المواجهة للرياح المطيرة كميات كبيرة من الأمطار (إسكوتاري ١٥٠٠ ملم، وسبليت ٦٠٠ ملم، وكورنو ١٢٠٠ ملم). بينما نجد أن مثيلتها المحاذية للبحر الأيوني ولبحر إيجه تتلقى كميات أقل من الأمطار (أثينا ٤٠٠ ملم، وسالونيك ٦٠٠ ملم)، وتكون أبرد في الشتاء لتأثرها بالكتل الهوائية القارية الباردة والقادمة من الشمال^(٢)، وعلى العموم فإن كميات الأمطار تقل كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب؛ وبخاصة في إقليم السهول الساحلية، كما تقل في كل من الأحواض الجبلية والمنحدرات الجبلية الواقعة في ظل المطر، وقد يتعرض الإقليم إلى الجفاف في بعض السنوات التي ينحبس فيها هطول الأمطار.

وتسود غابات البحر المتوسط النفضية منها دائمة الخضرة في هذا الإقليم؛ إذ تنمو أشجار البلوط والسرو والسنديان فوق المنحدرات الجبلية المواجهة للرياح المطيرة، بينما تنمو الحشائش فوق قمم الجبال العالية. وإلى جانب أهمية هذه الغابات في المحافظة على التربة من الانجراف؛ فإنها تكسب المرتفعات مناظر طبيعية خلابة

(١) أبو عيانة، فتحي، الجغرافيا الإقليمية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥، ص ١٧٣-١٨١.

(٢) الجوهري، يسري، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٧.



تجذب السياح إليها خلال فصل الصيف .

٢ - إقليم مناخ وسط أوروبا ونباتاته: يتميز مناخ هذا الإقليم بأنه قاري متطرف؛ إذ ترتفع درجات الحرارة فيه صيفاً إلى (٣٠ م) في المتوسط، وتنخفض شتاءً إلى (٥ م) في المتوسط، وتهطل الأمطار على مدار العام مع تركزها في فصل الصيف، بينما تتساقط الثلوج في فصل الشتاء، وتعرض أماكن كثيرة في هذا الإقليم إلى حدوث الصقيع والضباب في فصل الشتاء. وقد يتعرض هذا الإقليم إلى الجفاف في بعض السنوات التي تنحبس فيها الأمطار الصيفية، وتزيد مشكلة الجفاف سوءاً مع هبوب رياح البورا والرياح الهابطة من المرتفعات الجبلية، وتنخفض كميات الأمطار كلما اتجهنا من الشمال الغربي إلى الشرق والجنوب الشرقي؛ إذ يبلغ معدل الأمطار السنوية في (زغرب) نحو (٩٥٠ ملم)، وفي (بلجراد) نحو (٦٠٠ ملم).

يسود هذا المناخ في الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من شبه جزيرة البلقان في المجر ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا. أما الأجزاء الوسطى والجنوبية الشرقية؛ فإنها تنتمي إلى المناخ الانتقالي بين مناخي البحر المتوسط ووسط أوروبا؛ حيث تهطل الأمطار بكميات قليلة في كل من الشتاء والصيف، ويكون المناخ أقل اعتدالاً وتطرفاً من المناخين السابقين.

وتنمو غابات وسط أوروبا فوق المنحدرات الجبلية، وهي غابات نفضية، كما تنمو الأعشاب فوق القمم الجبلية وفي السهول والمنخفضات، ويعتمد الرعاة عليها في تربية الأغنام والماعز بوصفها مراعي طبيعية، ويوضح الجدول الآتي (رقم ١) التوزيع المكاني للغابات حسب الكيانات السياسية في البلقان:



الجدول رقم (١)

التوزيع المكاني للغابات في البلقان حسب الكيانات السياسية لعام ٢٠٠٠م

الدولة	مساحة الغابات عام ٢٠٠٠م (بالألف كم ^٢)	نسبة الغابات من إجمالي المساحة الكلية (%)	المتوسط السنوي لاجتثاث الغابات		المناطق المحمية الوطنية	
			(كم ^٢)	(%)	(ألف كم ^٢)	(%) من إجمالي المساحة الأرضية ١٩٩٩م
ألبانيا	١٠	٣٦,٢	٧٨	٠,٨	٠,٨	٣,١
البوسنة والهرسك	٢٣	٤٤,٦	—	—	٠,٣	٠,٥
بلغاريا	٣٧	٣٣,٤	٢٠,٤	٠,٦	٥	٤,٥
كرواتيا	١٨	٣١,٩	٢٠	٠,١	٤,٢	٧,٥
اليونان	٣٦	٢٧,٩	٣٠٠	٠,٩	٤,٧	٣,٦
المجر	١٨	١٩,٩	٧٢	٠,٤	٦,٥	٧
مقدونيا	٩	٣٥,٦	—	—	١,٨	٧,١
رومانيا	٦٤	٢٨	١٤٧	٠,٢	١٠,٩	٤,٧
سلوفينيا	١١	٥٥	٢٢	٠,٢	١,٢	٦
يوغسلافيا	٢٩	—	١٤	٠	٣,٤	٣,٣

المصدر: The World Bank 2002

تشغل الغابات رقعة واسعة في رومانيا التي تحتل المرتبة الأولى من حيث المساحة بين دول البلقان، يتلوها بلغاريا فاليونان ثم الاتحاد اليوغسلافي والبوسنة والهرسك. ومن حيث النسبة المئوية نجد أن الغابات تشغل (٥٥٪) من مساحة سلوفينيا، و (٤٥٪) من مساحة البوسنة والهرسك، و (٣٦٪) من مساحة كل من مقدونيا وألبانيا، و (٣٣٪) من مساحة بلغاريا، و (٣٢٪) من مساحة كرواتيا، ويتراوح المتوسط السنوي لاجتثاث الغابات في البلقان خلال الفترة (١٩٩٠ - ٢٠٠٠م) ما بين (٩,٠٪) سنوياً كما هو في اليونان و (٨,٠٪) سنوياً كما هو في ألبانيا، وتتفاوت نسبة المناطق المحمية عام ١٩٩٩م ما بين حدٍ أدنى بلغ (١,٣٪) في ألبانيا، وحدٍ أعلى بلغ (٥,٧٪) من إجمالي المساحة الأرضية في كرواتيا.



موارد المياه العذبة :

يُعد الأمن المائي عنصراً أساسياً في ضمان الأمن السياسي والأمن الاجتماعي والاقتصادي، وبخاصة الأمن الغذائي لدول البلقان، ومن المفيد أن نعرض للموارد المائية المتاحة لكل دولة في البلقان، وما يمكن أن تحصل عليه من موارد مائية خارجية، ومقدار نصيب الفرد من إجمالي موارد المياه.

الجدول رقم (٢)

موارد المياه العذبة في دول البلقان عام ٢٠٠٠م

الدولة	موارد مائية محلية (داخلية) (بليون م ^٣)	موارد مائية خارجية (بليون م ^٣)	نصيب الفرد من إجمالي الموارد المائية (ألف م ^٣)
ألبانيا	٢٧	١٥٠٧	١٢٠٥
البوسنة والهرسك	٣٦	٢	٩٠٤
بلغاريا	١٨	٠٠٢	٢٠٢
كرواتيا	٣٨	٣٣٠٧	١٦٠٣
اليونان	٥٤	١٥	٦٠٥
المجر	٦	١١٤	١٢
مقدونيا	٦	١	٣٠٥
رومانيا	٤٩	١٧٠	٩٠٧
سلوفينيا	١٩	٠	٩٠٣
يوغسلافيا	٤٤	١٤٤	١٧٠٦

المصدر : The World Bank 2002, pp 150 - 152

تتفاوت كمية الموارد المائية العذبة المحلية المتاحة من دولة إلى أخرى في البلقان؛ ما بين حد أدنى بلغ (٦ بلايين م^٣) في كل من مقدونيا والمجر، وحد أعلى بلغ (٥٤ بليون م^٣) في اليونان، وتأتي رومانيا في المرتبة الثانية بعد اليونان من حيث كمية الموارد العذبة المتاحة من المياه، يتلوها يوغسلافيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك. كما تتفاوت دول البلقان فيما بينها من حيث الموارد المائية الخارجية؛ إذ تعتمد سلوفينيا على مواردها



المائية المحليّة فقط ، بينما تحصل بعض الدول على كميات محدودة جداً من مصادر خارجية ؛ مثل مقدونيا وبلغاريا والبوسنة والهرسك . وهناك دول تحصل على معظم مواردها المائية من مصادر خارجية ؛ مثل رومانيا ويوغسلافيا والمجر .

ويمكن أن نصنف دول البلقان من حيث نصيب الفرد من إجمالي الموارد المائية المحليّة منها والخارجية إلى الفئات الآتية^(١) :

- دول يتجاوز فيها نصيب الفرد من المياه العذبة المتاحة (٣م ١٥٠٠) سنوياً ، وتشمل يوغسلافيا وكرواتيا .
- دول يتراوح فيها نصيب الفرد من المياه العذبة المتاحة ما بين (١٠٠٠ - ٣م ١٥٠٠) سنوياً ، وتشمل ألبانيا والمجر .
- دول يقل فيها نصيب الفرد من المياه العذبة المتاحة عن (٣م ١٠٠٠) سنوياً ، وتشمل بقية دول البلقان .

ثانياً: المقومات الجغرافية البشرية:

نمو السكان وتوزعهم المكاني :

قدر إجمالي عدد سكان دول البلقان بنحو (٧٦, ٤) مليون نسمة في عام ١٩٨٠م ، وازداد عددهم زيادة طفيفة بحيث إنه قُدِّر بنحو (٧٧, ٦) مليون نسمة في عام ٢٠٠٠م ، ومن المتوقع أن ينخفض عددهم إلى نحو (٧٥, ٩) مليون نسمة في عام ٢٠١٥م ، ويمكن أن نُفسّر التراجع في عدد السكان إلى ظاهرة عدم الاستقرار ، وما يترتب عليها من هجرات السكان إلى الخارج .

ويتفاوت حجم السكان بين دول البلقان ، فهناك دول يتجاوز عدد سكانها (٨) ملايين نسمة في عام ٢٠٠٠م ، مثل رومانيا (٢٢, ٤) مليوناً ، وكل من يوغسلافيا واليونان (١٠, ٦) ملايين ، والمجر (١٠) ملايين ، وبلغاريا (٨, ٢) ملايين . وهناك دول أخرى ذات حجم سكاني يقل عن (٥) ملايين نسمة مثل بقية دول البلقان ، ويتزايد عدد سكان بعض الدول بمعدلات إيجابية محدودة تتراوح ما بين حدّ أدنى بلغ (١, ٠)٪ سنوياً بالنسبة لرومانيا ، وحدّ أعلى بلغ (٢, ١)٪ سنوياً بالنسبة لألبانيا خلال الفترة (١٩٨٠ - ٢٠٠٠م) ، وعلى النقيض من ذلك كان معدل النمو السنوي لسكان دول أخرى سالباً يتراوح ما بين (١, ٠)٪ في البوسنة والهرسك و (٤, ٠)٪ في بلغاريا . ومن المتوقع أن يتراجع معدل النمو السنوي لسكان جميع دول البلقان خلال الفترة (٢٠٠٠ - ٢٠١٥م) ، وإن كان يتفاوت ما بين معدلات موجبة طفيفة تتراوح ما بين (١, ٠)٪ في يوغسلافيا ، و (١, ٠)٪ في ألبانيا ، ومعدلات سلبية طفيفة تتراوح ما بين (٢, ٠)٪ في كل من سلوفينيا واليونان ، و (٦, ٠)٪ في بلغاريا .

(1) The World Bank, World Development Indicators. Washington 2002, pp. 150 - 152.



الجدول رقم (٣)

تطور نمو سكان دول البلقان، وتوقعه خلال الفترة ١٩٨٠-٢٠١٥م

الدولة	إجمالي عدد السكان (بالمليون)			متوسط معدل النمو السنوي للسكان (%)		معدل الولادات الخام لكل ألف نسمة	معدل الوفيات الخام لكل ألف نسمة
	١٩٨٠م	٢٠٠٠م	٢٠١٥م	١٩٨٠-٢٠٠٠م	٢٠٠٠-٢٠١٥م		
ألبانيا	٢,٧	٣,٤	٤	١,٢	١	١٧	٦
البوسنة والهرسك	٤,١	٤	٤,٤	-٠,١	٠,٦	١٢	٨
بلغاريا	٨,٩	٨,٢	٧,٤	-٠,٤	-٠,٦	٩	١٤
كرواتيا	٤,٦	٤,٤	٤,٢	-٠,٢	-٠,٣	١٠	١٢
اليونان	٩,٦	١٠,٦	١٠,٣	٠,٥	-٠,٢	١٢	١١
المجر	١٠,٧	١٠	٩,٤	-٠,٣	-٠,٤	١٠	١٤
مقدونيا	١,٩	٢	٢,٢	٠,٤	٠,٤	١٣	٨
رومانيا	٢٢,٢	٢٢,٤	٢١,٤	٠,١	-٠,٣	١٠	١١
سلوفينيا	١,٩	٢	١,٩	٠,٢	-٠,٢	٩	١٠
يوغسلافيا	٩,٨	١٠,٦	١٠,٧	٠,٤	٠,١	١٢	١١

المصدر: The World Bank 2000, pp. 48-58

ومما يسترعي الانتباه أن الزيادة الطبيعية للسكان في بعض الدول التي يعيش فيها المسلمون من أهل البلقان ذات رقم موجب بفعل معدلات المواليد فيها على معدل الوفيات، كما هو الحال في ألبانيا التي بلغ معدل الزيادة الطبيعية فيها نحو (١١) في الألف، والبوسنة والهرسك (٤) في الألف، ومقدونيا (٥) في الألف، ويوغسلافيا (١) في الألف لعام ٢٠٠٠م. وعلى النقيض من ذلك؛ فإن الدول الأخرى التي تعيش فيها نسبة ضئيلة من المسلمين ذات زيادة طبيعية سلبية لعام ٢٠٠٠م^(١).

(1) Ibid., pp. 48-50.



ويرتفع معدل الولادة لكل امرأة في الدول التي يعيش بها مسلمون، وعلى سبيل المثال: بلغ هذا المعدل في ألبانيا (٣, ٦) عام ١٩٨٠م، انخفض إلى (٢, ١) عام ٢٠٠٠م، وبلغ في البوسنة والهرسك (٢, ١) و(١, ٦) على التوالي، وفي مقدونيا (٢, ٥)، و(١, ٨). وفي دول البلقان الأخرى ينخفض هذا المعدل؛ إذ وصل في كرواتيا (١, ٩) في عام ١٩٨٠م و(١, ٤) في عام ٢٠٠٠م، وفي رومانيا (٢, ٤) و(١, ٣) على التوالي، وفي بلغاريا (٢) و(١, ٣) على التوالي.

وفيما يتعلق بتوقع الحياة عند الولادة ارتفع العمر المرتقب لدى جميع دول البلقان في عام ٢٠٠٠م عما كان عليه في عام ١٩٨٠م ففي عام ١٩٨٠م تراوح العمر المرتقب ما بين حدٍّ أدنى بلغ (٦٩) عاماً كما في ألبانيا، وحدٍّ أعلى بلغ (٧٤) عاماً كما في اليونان. وفي عام ٢٠٠٠م كان الحدُّ الأدنى (٧٠) عاماً كما في رومانيا، والحدُّ الأعلى (٧٨) عاماً كما في اليونان. وقد ازداد العمر المرتقب في ألبانيا من (٦٩) عاماً إلى (٧٤) عاماً، وفي البوسنة والهرسك من (٧٠) عاماً إلى (٧٣) عاماً^(١).

وإذا استثنينا ألبانيا؛ فإن نسبة الإناث ترتفع في دول البلقان إلى أكثر من نصف المجتمع، وتعمّر الإناث أكثر من الذكور، وعلى سبيل المثال: كان العمر المتوقع عند الولادة للإناث في كل من ألبانيا والبوسنة والهرسك (٧٦) عاماً، وكل من مقدونيا ويوغسلافيا (٧٥) عاماً، ووصلت إلى (٨١) عاماً في اليونان^(٢).

وتتفاوت الكثافة الحسابية لسكان دول البلقان عام ٢٠٠٠م حسب العلاقة ما بين مساحة كل دولة وعدد سكانها، ويمكن أن نُصنف دول البلقان حسب كثافة السكان إلى الفئات الآتية^(٣):

- دول ذات كثافة سكانية متوسطة تتراوح ما بين (٧٠ - ٧٩ نسمة / كم^٢): وتشمل بلغاريا، والبوسنة والهرسك، وكرواتيا.

- دول ذات كثافة سكانية مرتفعة تتراوح ما بين (٨٠ - ٩٩ نسمة / كم^٢): وتشمل مقدونيا، واليونان، ورومانيا، وسلوفينيا.

- دول ذات كثافة سكانية مرتفعة جداً تتراوح ما بين (١٠٠ - ١٣٠ نسمة / كم^٢): وتشمل يوغسلافيا، والمجر، وألبانيا.

كما تتفاوت الكثافة الزراعية في دول البلقان عام ١٩٩٩م حسب العلاقة ما بين مساحة الأرض الزراعية وعدد السكان الريفيين. ويمكن أن نصنف هذه الدول حسب الكثافة الزراعية للسكان إلى الفئات الآتية^(٤):

- دول ذات كثافة زراعية منخفضة تتراوح ما بين (٥٠ - ٨٠ نسمة / كم^٢): وتشمل بلغاريا، والمجر.

- دول ذات كثافة زراعية متوسطة تتراوح ما بين (١٠٠ - ١٦٠ نسمة / كم^٢): وتشمل رومانيا، وكرواتيا، ومقدونيا، واليونان.

(1) Ibid., pp. 122-124.

(2) Ibid., pp. 32-34.1

(3) Ibid., pp. 18-20.

(4) Ibid., pp. 134-136.



- دول ذات كثافة زراعية مرتفعة تتراوح ما بين (٣٥٠-٥٨٠ نسمة / كم^٢): وتشمل ألبانيا، والبوسنة والهرسك، وسلوفينيا.
ومما يسترعي الانتباه أن ألبانيا ذات كثافة سكانية مرتفعة جداً، وذات كثافة زراعية مرتفعة، غير أن البوسنة والهرسك ذات كثافة سكانية متوسطة، وذات كثافة زراعية مرتفعة، بينما تجمع سلوفينيا بين الكثافتين السكانية والزراعية المرتفعتين، أما مقدونيا فهي ذات كثافة سكانية مرتفعة، وذات كثافة زراعية متوسطة.

الجدول رقم (٤)

تطور توزيع السكان بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية في البلقان ما بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٠م

الدولة	السكان الريفيون (% من إجمالي السكان)		متوسط نموهم السنوي (%)		سكان الحضر (بالمليون نسمة)		سكان الحضر (% من إجمالي السكان)		السكان في التجمعات الحضرية التي يزيد عددها عن مليون. (% من إجمالي السكان)		
	٢٠٠٠م	١٩٨٠م	١٩٨٠-٢٠٠٠	١٩٨٠-٢٠٠٠	١٩٨٠م	٢٠٠٠م	١٩٨٠م	٢٠٠٠م	١٩٨٠م	٢٠٠٠م	٢٠١٥م
ألبانيا	٦٦	٦١	٠,٨	٠,٨	٠,٩	١,٣	٣٤	٣٩	-	-	-
البوسنة والهرسك	٦٥	٥٧	-٠,٨	-٠,٨	١,٥	١,٧	٣٦	٤٣	-	-	-
بلغاريا	٣٩	٣٠	-١,٦	-١,٦	٥,٤	٥,٧	٦١	٧٠	١٢	١٥	١٦
كرواتيا	٥٠	٤٢	-١,١	-١,١	٢,٣	٢,٥	٥٠	٥٨	-	-	-
اليونان	٤٢	٤٠	٠,٢	٠,٢	٥,٦	٦,٣	٥٨	٦٠	٣١	٣٠	٣٠
المجر	٤٣	٣٦	-١,٢	-١,٢	٦,١	٦,٤	٥٧	٦٤	١٩	١٨	١٩
مقدونيا	٤٧	٣٨	-٠,٦	-٠,٦	١	١,٣	٥٤	٦٢	-	-	-
رومانيا	٥١	٤٤	-٠,٧	-٠,٧	١٠,٩	١٢,٦	٤٩	٥٦	٩	٩	١٠
سلوفينيا	٥٢	٥٠	٠	٠	٠,٩	١	٤٨	٥٠	-	-	-
يوغسلافيا	٥٤	٤٨	-٠,٢	-٠,٢	٤,٥	٥,٦	٤٦	٥٢	١١	١٤	١٥

المصدر: The World Bank 2002, pp. 134-136, pp. 170-172



تراجعت نسبة سكان المناطق الريفية مع تزايد نسبة سكان المناطق الحضرية في جميع دول البلقان - بلا استثناء - بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٠م، ويعزى تزايد نسبة سكان الحضر إلى الزيادة الطبيعية وصافي الهجرة، ويمكن أن نصنف دول البلقان حسب نسب سكان الحضر إلى الفئات الآتية^(١):

- دول ذات نسب مرتفعة لسكان الحضر، وتتراوح هذه النسب ما بين (٦٠ - ٧٠٪) من إجمالي السكان عام ٢٠٠٠م: وتشمل اليونان، ومقدونيا، والمجر، وبلغاريا.

- دول ذات نسب متوسطة لسكان الحضر، وتتراوح هذه النسب ما بين (٥٠ - ٥٩٪) من إجمالي السكان: وتشمل سلوفينيا، ويوغسلافيا، ورومانيا، وكرواتيا.

- دول ذات نسب منخفضة لسكان الحضر، وتقل هذه النسب عن (٥٠٪) من إجمالي السكان: وتشمل ألبانيا، والبوسنة والهرسك.

ومما يسترعي الانتباه أن نسبة سكان الريف في كل من ألبانيا والبوسنة والهرسك عام ٢٠٠٠م، وهما دولتان إسلاميتان تزيد عن نسبة سكان الحضر بكثير؛ إذ تبلغ في ألبانيا (٦١٪) وفي البوسنة (٥٧٪). وترتفع نسبة سكان الحضر في بلغاريا لتصل إلى (٧٠٪) عام ٢٠٠٠م مع أنها بلغت (٦١٪) في عام ١٩٨٠م، وتتساوى نسبة سكان كل من المناطق الحضرية مع نسبة سكان كل من المناطق الريفية في كل من سلوفينيا ويوغسلافيا. وترتفع نسبة السكان في التجمعات الحضرية التي يزيد عددها عن مليون في عام ٢٠٠٠م، وتشكل هذه النسبة (٣٠٪) في اليونان، و (١٨٪) في المجر، و (١٥٪) في بلغاريا، و (١٤٪) في يوغسلافيا، و (٩٪) في رومانيا. وتحتل رومانيا المرتبة الأولى في البلقان من حيث حجم سكان المناطق الحضرية البالغ عددهم فيها (١٢, ٦) مليون نسمة، يتلوها كل من المجر، واليونان، ثم بلغاريا، ويوغسلافيا.

ازدادت نسبة البطالة في جميع دول البلقان خلال الفترة (١٩٩٨ - ٢٠٠٠م) عما كانت عليه خلال الفترة (١٩٨٠ - ١٩٨٢م)، ويمكن أن نعزو هذه الزيادة لأسباب تتعلق بتفكك اتحاد يوغسلافيا الاشتراكية، وتحول الدول المنبثقة عن الاتحاد من النظام الاشتراكي الذي كان يوفر العمل لمن هم في سن العمل إلى نظام السوق الحرة. إضافة إلى ذلك فإن عدم الاستقرار في البلقان يحول دون تنفيذ المشروعات الإنمائية ويعرقلها؛ مما ينعكس سلباً على إيجاد فرص العمل الكافية. وعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة البطالة في كرواتيا من (٣, ٥٪) في أوائل الثمانينيات إلى (١, ١٦٪) في أواخر التسعينيات، وارتفعت نسبة البطالة في مقدونيا من (٢٢٪) إلى (٥, ٣٤٪) على التوالي، وفي ألبانيا من (٦, ٥٪) إلى (١٨٪) على التوالي^(١).

وتشير الأرقام إلى أن نسبة بطالة الإناث تتفوق على نسبة بطالة الذكور خلال فترتي أوائل الثمانينيات وأواخر التسعينيات المشار إليهما سابقاً، مع ارتفاع هذه النسبة في الفترة الثانية عما كانت عليه في الفترة الأولى بالنسبة إلى كل من بطالة الإناث وبطالة الذكور. ومما يسترعي الانتباه ارتفاع نسبة البطالة لدى كل من الإناث والذكور في مقدونيا التي شهدت في مطلع القرن الحادي والعشرين انتفاضة الأقلية المسلمة فيها على سوء

(1) Ibid., pp. 170-172.

(1) Ibid., pp. 60-62.



الأوضاع الإدارية والاقتصادية التي يعاني منها المسلمون في ذلك البلد، وينطبق الوضع على مسلمي كوسوفو الذين يطالبون بالانفصال عن الاتحاد اليوغسلافي لسوء أوضاعهم العامة؛ علماً بأن صربيا تعارض أي انفصال عنها لأنه لديها في الإقليم مناجم للذهب والنيكل ومعادن أخرى تُقدَّر قيمتها بمئات المليارات من الدولارات، حيث يتم تصديرها إلى كل من فرنسا وسويسرا واليونان^(١).

الجدول رقم (٥)

تطور البطالة في دول البلقان خلال الفترة (١٩٨٠ - ٢٠٠٠م)

نسبة البطالة لدى الذكور والإناث من إجمالي القوة العاملة لهما (%)		نسبة البطالة لدى الإناث من إجمالي القوة العاملة للإناث (%)		نسبة البطالة لدى الذكور من إجمالي القوة العاملة للذكور (%)		الدولة
١٩٩٨-٢٠٠٠م	١٩٨٠-١٩٨٢م	١٩٩٨-٢٠٠٠م	١٩٨٠-١٩٨٢م	١٩٩٨-٢٠٠٠م	١٩٨٠-١٩٨٢م	
١٨	٥,٦	٢٠,٩	-	١٥,٨	-	ألبانيا
-	-	-	-	-	-	البوسنة والهرسك
١٦,٣	-	١٥,٩	-	١٦,٧	-	بلغاريا
١٦,١	٥,٣	١٤,٥	٨,٢	١٢,٨	٣,٤	كرواتيا
١٠,٨	٢,٤	١٦,٥	٥,٧	٧	٣,٣	اليونان
٦,٥	-	٦,٣	-	٧,٥	-	المجر
٣٤,٥	٢٢	٣٧,٥	٣٢,٨	٣٢,٥	١٥,٦	مقدونيا
١٠,٨	-	٦,٢	-	٧,٤	-	رومانيا
٧,٥	-	٧,٤	-	٧,٥	-	سلوفينيا
-	-	-	-	-	-	يوغسلافيا

المصدر: The World Bank 2002, pp. 60-62

المجموعات الإثنوغرافية:

تتعدد المجموعات العرقية وتتنوع في البلقان؛ إذ يوجد ما لا يقل عن اثنتي عشرة مجموعة عرقية في البلقان؛ الأمر الذي يبعدها عن النقاء السكاني ويجعلها إقليمياً معقداً من الناحية البشرية، ويشتمل على خليط

(١) زوبع، حمزة، قمة زغرب... مكافأة لصربيا.. 1-3، www.Islam, online.com.29.11.2000, pp.



من المجموعات الإثنوغرافية واللغوية والدينية . ولا شك أن وجود الأقليات في البلقان من شأنه أن يثير الحساسيات والقلق وعدم الاستقرار .

والجدير ذكره أن الموقع الجغرافي لشبه جزيرة البلقان جعل منها جسر عبور للغزاة الذين تعاقبوا على حكمها عبر العصور التاريخية . وقد تأسست الإمبراطوريات فيها ، وكان أقدمها إمبراطورية الإغريق والإمبراطورية المقدونية ، تلتها الإمبراطورية الرومانية ، فالبيزنطية ، ثم الإمبراطورية العثمانية . وفي العصور الحديثة اندفع النمساويون نحو الجنوب الشرقي ، وتوسع الروس نحو الجنوب الغربي لشبه جزيرة البلقان ، وخضعت شواطئ البلقان المطلة على البحر الأدرياتيكي لنفوذ الإيطاليين عندما سيطرت إمارة البندقية على السواحل الغربية للبلقان فترة من الزمن ، وهزم الفاشست ألبانيا في فترة أخرى ، كما خضعت البلقان للنفوذ غير المباشر لكل من بريطانيا وفرنسا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

ولم تتمكن أي أمة من الأمم التي تعاقبت على حكم البلقان أو التي سيطرت على أجزاء منها - على الأقل - من توحيد شعوب شبه الجزيرة ؛ إذ نجحت هذه الشعوب في مقاومة الاندماج في الثقافات السائدة ، وحافظت على تميزها العرقي . ولا شك أن الطوبوغرافيا الوعرة ، وصعوبة الوصول إلى أجزاء عديدة من المنطقة كان لها دور جزئي في تشجيع الفصل بين العرقيات المختلفة .

ونستطيع أن نميز بين مجموعات عرقية متنوعة استقرت في البلقان عبر التاريخ ، مثل اليونانيين الذين يتميزون كشعب من الناحية السياسية أيضاً منذ العصور القديمة ، والأتراك الذين يتركزون في الجزء الشرقي من البلقان ؛ سواء في الجانب الأوروبي من تركيا أو في بلغاريا . ويتركز الرومانيون في الجزء الشمالي من البلقان (رومانيا) ، بينما يتركز البلغار في الجزء الشرقي من البلقان (بلغاريا) ، ويتركز (العجر) في الجزء الشمالي الغربي (المجر) . ويبدو أن البلغار ارتبطوا بـ (العجر) و(الفنز) في العصور القديمة ، غير أنهم انصهروا في الألفية الماضية في بوتقة الثقافة السلافية والمذهب الأرثوذكسي اليوناني ، ولغتهم أقرب إلى اللغة الروسية منها إلى اللسان السلافوني خارج روسيا . وينتمي الألبان الذين استقروا في جنوب غربي البلقان حوالي (١٢٠٠ ق. م) إلى العناصر الأليرية . ويُطلق الألبان على أنفسهم اسم (سكيتبار) ، ويسميهم الأتراك (الأرناؤوط) . واللغة الألبانية لغة هندوأوروبية ، كما أن الإسلام هو الدين الذي يعتنقه الألبان .

أما (السلاف) فإنهم وصلوا إلى البلقان على شكل أفواج من غزوات البربر في نهاية فترة الإمبراطورية الرومانية . ويتألف السلاف الجنوبيون من الصرب ، والبلغار ، والكروات ، والسلوفين ، والبوشناق (البوسنيين) ، والمقدونيين . وقد جاءت القبائل السلافية من الشمال واستقرت في الإقليم ، وتعني كلمة (يوغسلافيا) أرض السلاف الجنوبيين ، ومع أنها من أصل واحد إلا أنها اعتنقت ديانات أو مذاهب مختلفة ، فالصرب والمقدونيون اعتنقوا الأرثوذكسية ، بينما اعتنق السلوفين والكروات الكاثوليكية ، واعتنق البوشناق الإسلام^(١) .

(1) Gottmann J., Op.Cit. pp. 605-639.



ومما يسترعي الانتباه أن التعقيد العرقي واللغوي والديني والمذهبي الذي أشرنا إليه في الحديث العام عن البلقان لا يقتصر على شبه الجزيرة فحسب، بل إنه يُميز معظم دول البلقان أيضاً، وذلك على النحو الآتي^(١):

١ - يوغسلافيا الاتحادية: كان يطلق عليها قبل أن تتفكك اسم اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية الاشتراكية، والذي اشتمل على ست جمهوريات، وإقليمين لهما صفة الحكم الذاتي.

ويُطلق عليها حالياً اسم يوغسلافيا الاتحادية؛ حيث تتحد جمهورية الجبل الأسود (المونتنغرو) مع جمهورية يوغسلافيا (صربيا). ويتألف سكانها من المجموعات العرقية الآتية: الصرب (٦٣٪) من إجمالي السكان، والألبان (١٤٪)، والمونتنغرو (٦٪)، والمجريون (٤٪)، وآخرون (١٣٪).

ويعتق السكان الديانات والمذاهب الآتية: الأرثوذكس (٦٥٪) من إجمالي السكان، والروم الكاثوليك (٤٪)، والبروتستانت (١٪)، والمسلمون (٢٢٪)، وآخرون (٨٪). ويتكلم (٩٥٪) من سكان يوغسلافيا الاتحادية اللغة الصربية الكرواتية، بينما يتكلم باقي السكان اللغة الألبانية. ويتكون اسم يوغسلافيا من مقطعين هما: (يوغ، سلافيا)، وتعني الكلمة الأولى باللغة السلافية (الجنوب)، ويصبح المعنى لكلمة يوغسلافيا هو (سلاف الجنوب).

٢ - البوسنة والهرسك: يتألف سكانها من المجموعات العرقية الآتية: البوشناق (البوسنيون والهرسك) (٤٤٪) من إجمالي السكان، والصرب (٣٦٪)، والكروات (٢٠٪). ويدين (٤٤٪) من السكان بالإسلام، و (٥٠٪) بالمسيحية، و (٦٪) بالديانات الأخرى. ويتوزع المسيحيون على المذاهب الآتية: (٣١٪) أرثوذكس، و (١٥٪) كاثوليك، و (٤٪) بروتستانت. ويتكلم اللغة البوسنية (٤٨٪) من السكان، واللغة الصربية (٣٣٪) منهم، واللغة الصربية الكرواتية (١٦٪).

٣ - ألبانيا: يتألف سكانها من الألبان الذين يدين (٧٠٪) منهم بالإسلام، و (٣٠٪) بالمسيحية، ويعتق (٢٠٪) من السكان المذهب الأرثوذكسي، و (١٠٪) المذهب الكاثوليكي. ويتكلم السكان لغتهم الألبانية، وقليل منهم يتكلم اليونانية إلى جانب الألبانية.

٤ - مقدونيا: يتألف سكانها من المقدونيين والألبان البالغ عددهم جميعاً مليوني نسمة في عام ٢٠٠٠م، ويشكل المسيحيون الأرثوذكس ثلاثة أرباع السكان، بينما يشكل المسلمون من المقدونيين والألبان الربع الباقي. ويتركز معظم المسلمين في المناطق المجاورة لكل من كوسوفو وألبانيا، ويتكلم السكان اللغة المقدونية.

٥ - كرواتيا: يتألف سكانها من الكروات الذين يشكلون (٧٨٪) من إجمالي عدد السكان، ومن الصرب

(١) أ. غلاب، محمد وآخرون، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٩٧٩م، ص ٧٠٥-٧١٥.

ب. الجابري، محمد، موسوعة دول العالم: حقائق وأرقام، مجموعة النيل العربية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٧١، ٩٨، ١٠٨، ١٤٣، ١٥٦، ١٩٣، ٢٢٣.



(١٢٪)، ومن المسلمين (١٪)، ومن المجريين (٥، ٠٪)، ومن السلوفيين (٥، ٠٪)، وآخرين (٨٪). ويدين معظم السكان بالمسيحية، وغالبية المسيحيين يعتنقون المذهب الكاثوليكي (٥، ٧٦٪ من السكان)، بينما يعتنق المذهب الأرثوذكسي (١، ١١٪) من السكان، والمذهب البروتستانتى (٤، ٠٪)، ومذاهب أخرى (٨، ١٠٪). ويدين بالإسلام (٢، ١٪) من السكان، ويتكلم اللغة الصربية الكرواتية (٩٦٪) من السكان، بينما يتكلم (٤٪) منهم بلغات أخرى.

٦ - سلوفينيا: يتألف سكانها البالغ عددهم عام ٢٠٠٠م نحو مليوني نسمة من السلوفيين في معظمهم مع وجود أقلية صغيرة من اللتوانيين تعيش معهم (١٪ من السكان). ويدين بالمسيحية نحو (٧٠٪) من السكان، ويدين بالإسلام نحو (٣٪) منهم، وبديانات أخرى نحو (٢٧٪) منهم. ويتكلم السكان اللغة السلوفانية.

٧ - اليونان: يتألف السكان من العنصر اليوناني أساساً إلى جانب بعض الأقليات العرقية الأخرى مثل: الأتراك والبلغار المسلمون (البوماك)، والألبان، والجراكية. والجدير ذكره: أن اليونان خضعت للسيادة العثمانية عدة قرون، وخلال فترة السيادة العثمانية انتقل إلى اليونان جالية كبيرة من الأتراك المسلمين استوطنوا مدينتها، ومن هؤلاء كانت نواة المسلمين في اليونان. ويعيش غالبية السكان المسلمين الذين بقوا في اليونان في (تراقية الغربية).

ويدين معظم سكان اليونان بالمسيحية معتنقين في معظمهم المذهب الأرثوذكسي. ويتكلم السكان اللغة اليونانية إلى جانب لغات أخرى تتكلم بها الأقليات التركية والبلغارية والألبانية.

٨ - بلغاريا: تشير كلمة بلغار إلى: (مجموعة الترك التتار) الذين قطنوا على ضفاف نهر الفولغا فيما بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين، ثم هاجروا إلى البلقان. ويتألف السكان من البلغار أساساً، وتعيش بينهم أقليات صغيرة تركية وصرية. ويدين غالبية السكان بالمسيحية (٨٦٪)، منهم (٨٥٪) أرثوذكس بلغار، و (١٪) كاثوليك رومان، وتبلغ نسبة المسلمين نحو (١٣٪) من السكان، و (١٪) ديانات أخرى. ويتكلم السكان اللغة البلغارية، وهي اللغة الرسمية إلى جانب اللغات الأخرى التي تتكلم بها الأقليات إضافة إلى اللغة البلغارية. وقد هاجرت أعداد من الأتراك المسلمين إلى تركيا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين^(١).

٩ - رومانيا: يتألف السكان من العنصر الروماني أساساً، إلى جانب بعض الأقليات الألمانية والمجرية والتركية والعربية. ويدين (٨٢٪) من السكان بالمسيحية معتنقين مذهب الروم الكاثوليك في معظمهم، والمذهب البروتستانتى لدى قليل منهم، إلى جانب (١٨٪) من السكان يدينون بديانات أخرى، وعلى رأسها الديانة الإسلامية، وقد هاجر كثير من المسلمين في أعقاب الحريين العالميتين الأولى والثانية إلى تركيا، كما هاجرت نسبة كبيرة من يهود رومانيا إلى فلسطين أثناء الانتداب البريطاني عليها وبعده. ويتكلم السكان اللغة الرومانية، وهي اللغة الرسمية، إلى جانب لغات أخرى مثل اللغات الألمانية، والمجرية، والعربية.

(١) زكي، عبد الرحمن، المسلمون في العالم اليوم (٥): أوروبا، الأمريكتان وأستراليا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤٣.



١٠ - المجر: يتألف السكان من عنصر الماخبار (العجر) أساساً. وقد جاء الإسلام إلى المجر في بادئ الأمر بواسطة أفراد طائفة الإسماعيلية، وهم في الأصل من الجماعات التركية. وبلغار (الفولغا) هاجروا إلى المجر وقطنوا في الجهات الجنوبية. ولما فتح الأتراك المجر عام ١٥٨٦م دخل كثير من المجريين في رحاب الإسلام، ولما غادروا بودابست عام ١٦٨٧م بقي كثير من المسلمين في البلاد. وبدين (٩٢,٥%) من السكان بالديانة المسيحية، بينما يدين الباقي بديانات أخرى، ويتكلم السكان اللغة المجرية.

ثالثاً: المقومات الجغرافية الاقتصادية:

تبلغ مساحة شبه جزيرة البلقان نحو (٨٢٩) ألف كم^٢، وقد عدد سكان دولها العشر نحو (٧٧) مليون نسمة في عام ٢٠٠٠م؛ لذا فإن كثافة السكان فيها تبلغ في المتوسط نحو (٩٣ نسمة/كم^٢). ولا شك أن ارتفاع كثافة السكان يُعد مؤشراً على وجود الموارد المتاحة التي تجذب السكان للاستقرار في الإقليم بغرض استغلال موارده التي يفترض أن تكون متوافرة بحكم الاتساع النسبي لمساحة البلقان، وتعدد خطوط العرض فيها، وتنوع مناخها وأشكال سطح الأرض والتربة فيها؛ فهل استطاع الإنسان في البلقان أن يستغل موارد بلاده المتاحة؟ وإلى أي مدى تمكّن من تحسين مستويات الدخل وتحقيق الرفاهية والرخاء بتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية الاجتماعية؟ وما دور القطاعات الإنتاجية والخدمية في الإسهام في نمو الإنتاج المحلي الإجمالي، وتوفير فرص العمل للقادرين عليه من السكان، والحد من البطالة، وبناء الاقتصاديات القادرة على الصمود في وجه التحديات والأوضاع السياسية المضطربة في البلقان؟

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه التساؤلات استناداً إلى الأرقام الإحصائية، وللكشف عن القوة الاقتصادية لكل دولة من شبه جزيرة البلقان.

النتائج المحلي الإجمالي:

تفاوتت قيمة الناتج المحلي الإجمالي من دولة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر؛ وذلك بسبب تفاوت إسهام القطاعات الإنتاجية والخدمية في تكوينه، إضافة إلى التطور في معدلات نموه. تتباين قيمة الناتج المحلي الإجمالي تبايناً ملحوظاً بين دول البلقان، ويمكن تصنيف هذه الدول إلى الفئات الآتية^(١):

- دول تقل قيمة الناتج المحلي الإجمالي فيها عن (١٠) مليارات دولار: وتشمل ألبانيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، ويوغسلافيا. والجدير ذكره أن كثيراً من مسلمي البلقان يعيشون في هذه الدول.
- دول تتراوح فيها قيمة الناتج المحلي الإجمالي ما بين (١٠ - ٥٠) مليار دولار: وتشمل بلغاريا، وكرواتيا، والمجر ورومانيا، وسلوفينيا.
- دول تتجاوز فيها قيمة الناتج المحلي الإجمالي (٥٠) مليار دولار: وتشمل اليونان.

(1) The World Bank, Op. Cit. pp. 208-210.



الجدول رقم (٦)

تطور قيمة الناتج المحلي الإجمالي حسب القطاعات الإنتاجية والخدمية للفترة (١٩٩٠ - ٢٠٠٠م)

الدولة	قيمة الناتج المحلي الإجمالي (بالمليار دولار)		نسبة إسهام الزراعة في الناتج الإجمالي (%)		نسبة إسهام الصناعة في الناتج الإجمالي (%)		نسبة إسهام الخدمات في الناتج الإجمالي (%)	
	١٩٩٠م	٢٠٠٠م	١٩٩٠م	٢٠٠٠م	١٩٩٠م	٢٠٠٠م	١٩٩٠م	٢٠٠٠م
ألبانيا	٢٠,١	٣,٧	٣٦	٥١	٤٨	٢٦	١٦	٢٣
البوسنة والهرسك	-	٤,٣	-	١٢	-	٢٦	-	٦٢
بلغاريا	٢٠,١	١٢	١٨	١٥	٥١	٢٨	٣١	٥٨
كرواتيا	١٨,١	١٩	١٠	٩	٣٤	٣٣	٥٦	٥٨
اليونان	٨٤	١١٢,٦	١١	٨	٢٨	٢٤	٦١	٦٨
المجر	٣٣	٤٥,٦	١٥	٦	٣٩	٣٤	٤٦	٦١
مقدونيا	٤,٤	٣,٥	٩	١٢	٤٦	٣٣	٤٦	٥٥
رومانيا	٣٨,٢	٣٦,٧	٢٠	١٣	٥٠	٣٦	٣٠	٥١
سلوفينيا	١٢,٦	١٨,١	٦	٣	٤٦	٣٨	٤٩	٥٨
يوغسلافيا	-	٨,٤	-	-	-	-	-	-

المصدر: The World Bank 2002, pp. 208-210

والجدير ذكره أن قيمة الناتج المحلي الإجمالي ارتفعت في بعض الدول ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٠م وانخفضت في بعضها الآخر. ويمكن أن نذكر الدول التي ارتفعت قيمة ناتجها مثل ألبانيا، والبوسنة والهرسك، وكرواتيا، واليونان، والمجر، وسلوفينيا، ومن الدول التي انخفضت قيمة ناتجها بلغاريا، ومقدونيا، ورومانيا، ويوغسلافيا. وتراوح معدل النمو السنوي لقيمة الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م ما بين حدٍّ أدنى بلغ (١-، ٢٪) كما هو في بلغاريا، وحدٍّ أعلى بلغ (٣، ٣٪) كما هو الحال في ألبانيا.

وإذا ألقينا نظرة على الأرقام التي توضح تطور إسهام كل من قطاعات الزراعة، والصناعة، والخدمات في الناتج المحلي الإجمالي يتضح لنا: أن إسهام كل من قطاع الزراعة وقطاع الصناعة تناقص بدرجة ملحوظة ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٠م، ويعزى ذلك إلى الظروف الصعبة التي شهدتها إقليم البلقان خلال عقد التسعينيات،



وانعكست الاضطرابات والحروب سلباً على معظم دول الإقليم . وفي المقابل ارتفعت نسبة إسهام قطاع الخدمات في الناتج المحلي الإجمالي لجميع دول البلقان ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠٠٠م، وهناك بعض الاستثناءات من التعميم المشار إليه، إذ نجد أن الزراعة في ألبانيا حققت معدل نمو سنوي إيجابي بلغ (٦ ٪)، واليونان (٥، ٠ ٪)، وبلغاريا (٤، ٠ ٪)، وحققت الصناعة في المجر معدل نمو سنوي إيجابي بلغ (٨، ٣ ٪)، كما تراجعت الخدمات في بلغاريا لتحقيق معدل نمو سالي (٣، ١ ٪).

التركيب الهيكلي للقوة العاملة:

يعتمد هذا التركيب على التركيب العمري للسكان، وتشير أرقام الفئات العمرية لسكان دول البلقان عام ٢٠٠٠م إلى أن فئة الأطفال دون الخامسة عشرة من العمر تتراوح في نسبتها ما بين حد أدنى نسبته (١٥ ٪) من سكان (اليونان)، وحد أعلى يبلغ (٣٠ ٪) من سكان (ألبانيا). وتتراوح نسبة القادرين على العمل ممن تقع أعمارهم بين (١٥ - ٦٤ عاماً) ما بين حد أدنى (٦٤ ٪) من سكان (ألبانيا)، وحد أعلى يبلغ (٧١ ٪) من سكان (البوسنة والهرسك). وتتراوح نسبة المسنين من أعمارهم (٦٥ سنة) فأكثر ما بين حد أدنى تبلغ نسبته (٦ ٪) من سكان (ألبانيا)، وحد أعلى نسبته (٦، ١٧ ٪) من سكان (اليونان)^(١).

ويشير الهرم السكاني لدول البلقان إلى وجود انبعاث في الجزء الأوسط منه؛ لارتفاع نسبة الشباب ممن هم في سن العمل، وانخفاض نسبة الأطفال؛ لانكماش الهرم في الجزء الأسفل منه (قاعدة الهرم)، وتوسط نسبة المسنين لتقارب ضلعي الهرم في الجزء العلوي منه. ويشكل الهرم السكاني نموذجاً للهرم السكاني التقليدي في الدول المتقدمة، باستثناء الهرم السكاني لدولة ألبانيا الذي يقترب في شكله من الهرم السكاني التقليدي في الدول النامية.

وتشير الأرقام إلى أن نسبة الإعالة مُتدنية على العموم في دول البلقان؛ إذ إنها تحوم حول (٥، ٠ ٪) من عدد القادرين على العمل، ولا تشكل نسبة الإعالة عبئاً على القادرين على العمل في حال دخولهم سوق العمل ومزاوتهم للنشاطات الاقتصادية، ومما يسترعي الانتباه تزايد عدد المتتمين للفئة العمرية (١٥ - ٦٤ سنة) فيما بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٠م في جميع دول البلقان، وينعكس ذلك على تزايد عدد العاملين فعلاً في عام ٢٠٠٠م عما كان عليه عددهم في عام ١٩٨٠م، وينطبق الوضع نفسه على تزايد نسبة الإناث ما بين العاملين المذكورين؛ بحيث تراوحت نسبة العاملات من الإناث في عام ٢٠٠٠م بين (٨، ٣٧ ٪) من إجمالي القوة العاملة (اليونان)، و (٢، ٤٨ ٪) من إجمالي القوة العاملة (بلغاريا)^(٢).

(1) Ibid., pp. 48-50.

(2) Ibid., pp. 52-54.



ومما يسترعي الانتباه تفوق نسبة العاملات من الإناث في قطاع الزراعة على نسبة الذكور من العاملين في الزراعة خلال الفترة (١٩٩٨ - ٢٠٠٠م)، وحدث العكس بالنسبة لقطاع الصناعة الذي تفوقت نسبة العاملين من الذكور فيه على نسبة العاملات من الإناث، وترتفع نسبة العاملات من الإناث في قطاع الخدمات عن نسبة العاملين من الذكور؛ إذ إنها تراوحت ما بين (٣٣٪) و (٧١٪)، وهي نسب تفوق نسب العاملين من الذكور، والتي تراوحت بين (٢٩٪) و (٥٤٪).

استعمالات الأراضي الزراعية:

تتفاوت نسبة الأراضي الزراعية من إجمالي مساحة الأرض في دول البلقان. فهناك دول ترتفع فيها هذه النسبة لتتراوح ما بين (٣٥ - ٥٥٪) من إجمالي مساحة الأرض في عام ١٩٩٩م مثل بلغاريا، ورومانيا، والمجر. وهناك دول ذات نسبة تتراوح ما بين (٢٠ - ٣٥٪) مثل ألبانيا، واليونان، ومقدونيا، وكرواتيا. وهناك دول تقل فيها النسبة عن (١٠٪) مثل البوسنة والهرسك، وسلوفينيا.

لا يكفي أن ترتفع نسبة الأراضي الزراعية من إجمالي مساحة أي دولة في البلقان، بل إن المساحة المزروعة فعلاً هي التي تكشف لنا عن مدى استغلال الأرض الزراعية، وما يترتب على ذلك من التعرف إلى الدور الذي تسهم به الموارد الزراعية في بناء الاقتصاد الوطني للدولة. إضافة إلى ذلك؛ فإن تحديد نصيب الفرد من الأرض الزراعية من شأنه أن يحدد مقدار الضغط السكاني على الموارد، كما أن توضيح نسبة الأرض المروية من إجمالي الأرض المزروعة من شأنه أن يعطينا فكرة عن السبب في ارتفاع أو انخفاض الإنتاجية الزراعية، ومن ثم إنتاج المحاصيل الزراعية. ومن المفيد أيضاً أن نتعرف إلى المساحة التي تشغلها الحبوب بالنسبة إلى غيرها من المحاصيل؛ حيث إن الحبوب تعد مادة غذائية مهمة سواء للإنسان أو للحيوان. ومن المتغيرات المؤثرة في الإنتاجية الزراعية استعمال الأساليب الزراعية الحديثة من أسمدة و (تراكتورات)، والتي يفترض أن تسهم في زيادة الإنتاجية، وفي دعم البنية الزراعية.

بالتأمل في الأرقام الواردة في الجدول (٧) الآتي يتضح لنا أن مساحة الأرض المزروعة إلى حبوباً قد تناقصت في الفترة (١٩٩٩ - ٢٠٠٠م) عما كانت عليه في الفترة السابقة (١٩٧٩ - ١٩٨١م) بالنسبة إلى جميع دول البلقان، ويُعزى ذلك إلى التحولات التي طرأت على النمط الزراعي ما بين الفترتين؛ بحيث إن تزايد المساحات التي تشغلها الأشجار المثمرة والخضروات تم على حساب الأراضي التي تشغلها الحبوب. ومما يسترعي الانتباه أن نصيب الفرد من الأرض الزراعية تناقص في الفترة (١٩٩٧ - ١٩٩٩م) عما كان عليه في الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨١م) في كل من ألبانيا، والبوسنة والهرسك، واليونان، ورومانيا، وسلوفينيا، ويوغسلافيا، وعلى النقيض من ذلك؛ فإنه تزايد في الفترة الثانية عما كان عليه في الفترة الأولى في كل من بلغاريا، وكرواتيا، والمجر، ومقدونيا.



الجدول رقم (٧)

تطور المدخلات الزراعية في دول البلقان خلال الفترة (١٩٧٩ - ٢٠٠١ م)

تراكتورات لكل ألف عامل زراعي		استهلاك المخصبات مئات الجرامات لكل هكتار من الأرض الزراعية		مساحة الأرض المزروعة حبوباً (بالألف هكتار)		نسبة الأرض المروية من الأرض المزروعة بالمحاصيل		نصيب الفرد من الأرض الزراعية (بالهكتار)		الدولة
١٩٩٧	١٩٧٩	١٩٩٧	١٩٧٩	١٩٩٧	١٩٧٩	١٩٩٧	١٩٧٩	١٩٩٧	١٩٧٩	
١١	١٥	٢٢٨	١٥٥٦	٢١٣	٣٦٧	٤٨,٦	٥٣	٠,١٧	٠,٢٢	ألبانيا
٢٨٠	—	٦٥٣	—	٤٠١	—	٠,٤	—	٠,١٣	—	البوسنة والهرسك
٧٣	٦٦	٣٨١	٢٣٣٤	١٩٠٥	٢١١٠	١٧,٧	٢٨,٣	٠,٥٢	٠,٤٣	بلغاريا
١٣	—	١٥٥٨	—	٦٠٤	—	٠,٢	—	٠,٣٢	—	كرواتيا
٢٩٩	١٢٠	١٧٤١	١٩٢٧	١٢٦٦	١٦٠٠	٣٧,٣	٢٤,٢	٠,٢٦	٠,٣٠	اليونان
١٦٨	٥٩	٨٣٢	٢٩٠٦	٢٦٧١	٢٨٧٨	٤,٢	٣,٦	٠,٤٨	٠,٤٧	المجر
٤١٦	—	٧٢٩	—	٢٢٠	—	٨,٦	—	٠,٢٩	—	مقدونيا
٩٢	٣٩	٣٢٥	١٤٤٨	٥٦٨٧	٦٣٤٠	٢٩,٢	٢١,٩	٠,٤١	٠,٤٤	رومانيا
٤٢٣١	—	٤٤٤٢	—	٩٧	—	١	—	٠,٠٩	—	سلوفينيا
—	١٤٠	—	١٢٦١	٢٠٤٨	٤٣١٠	—	١,٩	—	٠,٧٣	يوغسلافيا

المصدر: The World Bank 2002, pp. 138-140

وقد تزايدت نسبة المساحات الزراعية المروية في الفترة الثانية عما كانت عليه في الفترة الأولى في كل من اليونان، والمجر، ورومانيا، وفي المقابل تناقصت في كل من ألبانيا، والبوسنة والهرسك، وبلغاريا، وكرواتيا، ولا شك أن الدول التي تناقص فيها نصيب الفرد من الأرض الزراعية، وتلك التي تناقصت فيها نسبة المساحات الزراعية المروية - من شأنها أن تتعرض إلى ضغط سكاني مرتفع على الموارد الزراعية.

وعلى الرغم من تناقص استهلاك المخصبات في التسعينيات عما كان عليه في الثمانينيات؛ فإن الضد حدث تماماً بالنسبة إلى تزايد استعمال الجرارات الزراعية في التسعينيات عما كان عليه في الثمانينيات، ولا يزال



استهلاك المخصّبات مرتفعاً نسبياً في كل من كرواتيا، واليونان، وسلوفينيا، مع أنه تدنّى بشكل ملموس في ألبانيا، والبوسنة والهرسك، وبلغاريا، ورومانيا، ولا يزال استعمال كل من ألبانيا وكرواتيا للجرارات الزراعية محدوداً جداً^(١).

الجدول رقم (٨)

تطور المخرجات الزراعية في دول البلقان خلال الفترة (١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م)

فترة الأساس (١٩٨٩ - ١٩٩١ م = ١٠٠)

الدولة	الأرقام القياسية للإنتاج الزراعي		الأرقام القياسية للإنتاج الحيواني		الأرقام القياسية لإنتاج الغذاء		الإنتاجية الزراعية القيمة المضافة في الزراعة لكل عامل زراعي (دولار ١٩٩٥)	
	١٩٩٨ م	١٩٧٩ م	١٩٩٨ م	١٩٧٩ م	١٩٩٨ م	١٩٧٩ م	١٩٩٨ م	١٩٧٩ م
ألبانيا	١٩٧٨	١١٨٤	-	-	-	-	-	-
البوسنة والهرسك	٧٩٧٠	-	-	-	-	-	-	-
بلغاريا	٦٢٥٢	٢٧٥٤	٦٣	٩٦	٧٠	١٠٦	٦٦	١٠٨
كرواتيا	٨٨٣٩	-	٥٠	-	٧٠	-	٨٧	-
اليونان	١٣٤٠٠	٨٦٠٠	٩٧	١٠٠	٩٩	٩١	١٠٦	٨٧
المجر	٥٠١٦	٣٣٩٠	٧٠	٩٤	٧٤	٩١	٧٩	٩٣
رومانيا	٣٥٩٢	-	٨٩	١١٠	٩٣	١١٣	٩١	١١٤
سلوفينيا	٣١٥٣٩	-	١٠٥	-	١٠٠	-	٩١	-
يوغسلافيا	-	-	١٠٢	٩٤	٨٩	٩٤	٧١	٩٦

المصدر: The World Bank 2002, pp.142-144

على الرغم من تراجع الأرقام القياسية لكل من الإنتاج الزراعي، وإنتاج الغذاء، والإنتاج الحيواني بصورة عامة لدى كثير من دول البلقان؛ فإن القيمة المضافة في الزراعة شهدت تحسناً ملموساً وزيادة كبيرة في الفترة

(1) Ibid., pp. 138-140.



(١٩٩٨ - ٢٠٠٠م) عما كانت عليه في الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨١م).

أما التراجع في الأرقام القياسية فإنه يُعزى إلى الأوضاع السياسية غير المستقرة، والحروب الطاحنة التي نشبت بين بعض الدول في البلقان، بينما يُعزى التحسن في القيمة المضافة إلى ارتفاع أجور العمالة الزراعية، وكذلك ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية والحيوانية في الأسواق.

إنتاج الطاقة واستعمالها:

تُشكل الطاقة أساس مصدر الحركة في الأشياء، وهي القوة المحركة التي يمكن الحصول عليها من أحد مصادرها كالإنسان، والحيوان. والموارد الطبيعية التي يمكن الحصول عليها من أحد مصادرها كالإنسان، والحيوان، والموارد الطبيعية؛ من غابات، ومياه، وفحم، وبنط، وغاز طبيعي، ونافورات حارة، ومد وجزر. إلخ^(١).

تزايد إنتاج الطاقة في بعض دول البلقان، وتناقصها في بعضها الآخر ما بين عام ١٩٨٠ - ١٩٩٩م. فأما الدول التي تزايد فيها الإنتاج فهي بلغاريا، واليونان. وأما الدول التي تناقص إنتاجها من الطاقة فهي ألبانيا، والبوسنة والهرسك، والمجر، ورومانيا. وعلى الرغم من تناقص إنتاج الطاقة في رومانيا، والمجر فإنهما يشغلان المرتبة الأولى والثانية على التوالي من حيث الإنتاج، يتلوهما يوغسلافيا، واليونان، وبلغاريا، وتحتل هذه الدول المرتبة الثالثة والرابعة والخامسة في إنتاج الطاقة على التوالي.

وإذا استثنينا اليونان التي بلغ معدل النمو السنوي لاستعمال الطاقة فيها إيجابياً (٣٪) ما بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٩م؛ فإن بقية دول البلقان شهدت معدل نمو سنوي سالب، وبلغ تراجع استعمال الطاقة ذروته في ألبانيا عندما كان معدل النمو السنوي؛ سالباً (٧، ٦٪). وإذا استثنينا اليونان التي حققت تزايداً في نصيب الفرد من استعمال الطاقة؛ فإن بقية دول البلقان تراجع نصيب الفرد فيها من استعمال الطاقة، وكان معدل النمو السنوي لنصيب الفرد فيها سلبياً، وبخاصة في ألبانيا (٨، ٧٪)، ورومانيا (١، ٣٪).

وتشير الأرقام إلى أن إنتاج الطاقة لا يكفي استهلاك دول البلقان منها؛ الأمر الذي تضطر معه إلى الاعتماد على استيراد الطاقة لتلبية حاجاتها الاستهلاكية. غير أن صافي مستوردات الطاقة تتفاوت نسبتته من استهلاك الطاقة حسب ظروف كل دولة، فالبوسنة والهرسك تشغل المرتبة الأولى من حيث نسبة صافي مستوردات الطاقة (٦٥٪) من استعمال الطاقة، يتلوها اليونان (٦٤٪)، والمجر (٥٥٪)، وكل من كرواتيا وسلوفينيا (٥٤٪)، وبلغاريا (٥٠٪). وهذا يعني أن الدول سالفة الذكر تستورد ما بين نصف وثلثي حاجاتها الاستهلاكية من الطاقة. أما ألبانيا فإنها تستورد أقل من خمس حاجاتها الاستهلاكية، وكل من رومانيا ويوغسلافيا تستورد ربع حاجاتها الاستهلاكية من الطاقة^(٢).

(١) صالح، حسن عبد القادر، الموارد وتنميتها: أسس وتطبيقات على الوطن العربي، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٥.

(2) The World Bank, Op.Cit. pp. 158-160.

الجدول رقم (٩)

تطور إنتاج الطاقة واستعمالاتها في دول البلقان خلال الفترة (١٩٨٠ - ١٩٩٩ م)

الدولة	إنتاج الطاقة التجارية (ألف طن متري مكافئ نفط)		معدل النمو السنوي لاستعمال الطاقة التجارية (%)	نصيب الفرد من استعمال الطاقة التجارية (كجم مكافئ نفط)		معدل النمو السنوي لنصيب الفرد (%)	صافي مستوردات الطاقة (%) من استعمال الطاقة التجارية	
	١٩٨٠ م	١٩٩٩ م		١٩٨٠ - ١٩٩٩ م	١٩٨٠ م		١٩٩٩ م	١٩٨٠ م
ألبانيا	٣٤٢٨	٨٦٥	-٦,٧	١١٤٢	٣١١	-٧,٨	١٢-	١٨
البوسنة والهرسك	-	٧٠٥	-	-	٥١٨	-	-	٦٥
بلغاريا	٧٧٣٧	٩,٥٦	-٢,٦	٣٢٣٦	٢٢١٨	-٢,١	٧٣	٥٠
كرواتيا	-	٣٧٢١	-	-	١٨٦٤	-	-	٥٤
اليونان	٣٦٩٦	٩٨١٢	٣	١٦٢٨	٢٥٥٢	٢,٥	٧٦	٦٤
المجر	١٤٩٣٥	١١٤٩١	-٠,١	٢٧٠٣	٢٥١٢	-٠,٧	٤٨	٥٥
مقدونيا	-	-	-	-	-	-	-	-
رومانيا	٥٢٥٨٧	٢٧٨٥٩	-٣	٢٩٣٣	١٦٢٢	-٣,١	١٩	٢٤
سلوفينيا	-	٢٩٨٥	-	-	٣٢٧٧	-	-	٥٤
يوغسلافيا	-	١٠٠٩٦	-	-	١٢٥٨	-	-	٢٥

المصدر: The World Bank 2002, pp. 158-160

وتُشكل الكهرباء أحد المصادر الرئيسة للطاقة في البلقان، وتشير الأرقام إلى أن إنتاج الكهرباء ازداد فيما بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٩ م، باستثناء رومانيا التي تناقص إنتاجها من (٦٨) بليون كيلو وات إلى (٥١) بليون كيلو وات. وتعتمد ألبانيا في توليد الكهرباء على طاقة الهيدروجين أساساً (٩٧ ٪)، بينما تعتمد البوسنة والهرسك على طاقة الهيدروجين والفحم، وتعتمد كرواتيا على طاقة الهيدروجين والنفط، وتعتمد كل من يوغسلافيا ورومانيا على طاقة الهيدروجين والفحم، بينما تعتمد كل من سلوفينيا والمجر على الطاقة النووية والفحم^(١).

(1) Ibid. pp. 166 -168.



هيكل الصناعات التحويلية:

تشكل الصناعة حجر الزاوية في البناء الاقتصادي لدول البلقان، ومما يؤكد ذلك ارتفاع القيمة المضافة في الصناعة التحويلية عام ١٩٩٩م، وتحتل اليونان المرتبة الأولى؛ حيث حققت الصناعة فيها قيمة مضافة بلغت (١٣, ١) بليون دولار، تلتها المجر (٩, ٩) بلايين دولار، ورومانيا (٨, ٣) بلايين دولار، وسلوفينيا (٤, ٧) بلايين دولار، وكرواتيا (٣, ٦) بلايين دولار.

الجدول رقم (١٠)

هيكل الصناعات التحويلية في دول البلقان خلال التسعينيات

الدولة	القيمة المضافة في الصناعة التحويلية (بالبيون دولار)		إسهام الأغذية في القيمة المضافة (%)		إسهام المنسوجات والملبوسات في القيمة المضافة (%)		إسهام الآلات ومعدات النقل في القيمة المضافة (%)		إسهام الكيماويات في القيمة المضافة (%)	
	١٩٩٠م	١٩٩٩م	١٩٩٠م	١٩٩٩م	١٩٩٠م	١٩٩٩م	١٩٩٠م	١٩٩٩م	١٩٩٠م	١٩٩٩م
ألبانيا	٠,٨٧٨	٠,٤٣٦	٢٤	—	٢٣	—	—	—	—	—
البوسنة والهرسك	—	٦٩٧	١٢	—	١٥	—	١٨	—	٧	—
بلغاريا	—	١٧٩٩	٢٢	٢٠	٩	١٠	١٩	٥	٥	—
كرواتيا	٤٧٧٠	٣٦٩٤	٢٢	—	١٥	—	٢٠	—	٨	—
اليونان	—	١٣١٦	٢٢	٢٦	٢٠	١٢	١٢	١٥	١٠	١٣
المجر	٦٦١٣	٩٩٥٨	١٤	١٩	٩	٨	٢٦	٢٦	١٢	٧
مقدونيا	١٤١١	٦٩٦	٢٠	٣٢	٢٦	١٨	١٤	١٥	٩	١١
رومانيا	—	٨٣٦١	١٩	—	١٨	—	١٤	—	٤	—
سلوفينيا	٤٠٠٨	٤٧٢٩	١٢	١٢	١٥	١٠	١٦	١٦	٩	١١
يوغسلافيا	—	—	—	٢٨	—	٩	—	١٧	—	١٠

المصدر: The World Bank 2002, pp. 212-214

تسهم الأغذية والمنسوجات بأكثر من نصف القيمة المضافة في الصناعة في ألبانيا، بينما تسهم الأغذية



والمنسوجات والآلات والكيماويات بأكثر من نصفها في البوسنة والهرسك . وفي يوغسلافيا تسهم الأغذية والمنسوجات والآلات بأكثر من نصف القيمة المضافة في الصناعة، بينما تسهم الصناعات السابقة مع صناعة الكيماويات بنسبة (٧٦٪) من القيمة المضافة في الصناعات التحويلية .

ومما يسترعي الانتباه أن إسهام المنسوجات تراجع في نسبته بين دول البلقان ما بين عامي ١٩٩٠-١٩٩٩م، وفي الوقت نفسه تزايدت نسبة إسهام الأغذية والآلات ومعدات النقل والكيماويات . وتشكل الصناعات الواردة في الجدول (١٠) نحو ثلث القيمة المضافة في صناعة بلغاريا، بينما تسهم الصناعات الأخرى بنحو الثلثين، والعكس صحيح بالنسبة إلى اليونان التي أسهمت الصناعات الأخرى فيها بنحو ثلث القيمة المضافة، بينما أسهمت الصناعات الأخرى في المجر بنسبة (٤٠٪) من القيمة المضافة، وفي مقدونيا بنسبة ربع القيمة المضافة^(١) .

التجارة الخارجية والمديونية:

من الطبيعي أن تنشط التجارة الخارجية نتيجة الحاجة إلى تصدير الفائض، أو إلى استيراد السلع لسد العجز في الاكتفاء الذاتي من المنتجات المحلية . وتقترض دول البلقان مثل غيرها من الدول لتتمكن من استثمار القروض في مشروعات تنموية؛ الأمر الذي يترتب عليه تسديد الديون وتحمل عبء الفوائد .

ازدادت قيمة الصادرات في عام ٢٠٠٠م على العموم؛ مع أن هناك بعض الدول التي تراجعت فيها قيمة الصادرات عما كانت عليه عام ١٩٩٠م، مثل بلغاريا، وكرواتيا، ويوغسلافيا . وتراوح المعدل السنوي لنمو قيمة الصادرات ما بين حد أدنى بلغ (٢، ١٪) في كرواتيا، وحد أعلى بلغ (٣، ١٤٪) في ألبانيا . وإذا استثنينا يوغسلافيا التي تراجعت فيها قيمة المستوردات من (٦، ٤) مليارات دولار في عام ١٩٩٠م إلى (٦، ٣) مليارات دولار في عام ٢٠٠٠م؛ فإن جميع دول البلقان شهدت تزايداً ملحوظاً في قيمة المستوردات . وقد تراوح المعدل السنوي لنمو قيمة المستوردات ما بين حد أدنى بلغ (١، ٢٪) في اليونان، وحد أعلى بلغ (٩، ١٩٪) في ألبانيا^(٢) .

وفيما يتعلق بالمديونية الخارجية نجد أن بعضها تراجع في قيمته عام ٢٠٠٠م عما كان عليه عام ١٩٩٠م، بينما تصاعد بعضها الآخر في قيمته . وقد حدث التراجع في كل من بلغاريا ويوغسلافيا، بينما حدث التصاعد في بقية دول البلقان . ولا شك أن النفقات العسكرية تتحمل جزءاً كبيراً من مديونية بعض الدول، إلى جانب الحاجة إلى الاستثمارات الأجنبية في مشروعات التنمية .

(1) Ibid, pp. 212-214.

(2) Ibid, pp. 220-226.



الجدول رقم (١١)

قيمة التجارة الخارجية والمديونية الخارجية لدول البلقان خلال الفترة (١٩٩٠ - ٢٠٠٠ م)

الدولة	قيمة الصادرات بالمليار دولار		المعدل السنوي لنمو قيمة الصادرات (%)	قيمة المستوردات (بالمليار دولار)		المعدل السنوي لنمو قيمة المستوردات (%)	إجمالي الدين الخارجي (بالمليار دولار)	
	٢٠٠٠ م	١٩٩٠ م		١٩٩٠ - ٢٠٠٠ م	١٩٩٠ م		٢٠٠٠ م	١٩٩٠ م
ألبانيا	٠,٢٣٠	٠,٢٦٠	١٤,٣	٠,٣٨٠	١,١	١٩,٩	٠,٣٤٩	٠,٧٨٤
البوسنة والهرسك	٠,٢٧٦	١	-	٠,٣٦٠	٢,٨	-	-	٢,٨
بلغاريا	٥	٤,٧	٢,٥	٥,١	٦,٤	٥,١	١٠,٨	١٠
كرواتيا	٤,٦	٤,٤	١,٢	٤,٥	٧,٩	١٠,١	-	١٢,١
اليونان	٨,١	١٠,٢	٣,١	١٩,٧	٢٦,٣	٢,١	-	-
المجر	١٠	٢٨	١١,٨	١٠,٣	٣٢,١	١٢,٩	٢,١	٢٩,٤
مقدونيا	١,٢	١,٣	٢,٨	١,٢	٢,٢	٦,٤	-	١,٤
رومانيا	٤,٩	١٠,٣	٨,٤	٧,٦	١٣	٦,٦	١,١	١٠,٢
سلوفينيا	٦,٦	٨,٧	٩,٤	٦,١	١٠,١	١٠,٤	-	-
يوغسلافيا	٢,٩	١,٧	-	٤,٦	٣,٦	-	١٧,٧	١١,٩

المصدر : The World Bank 2002, pp. 216-226, pp. 264-266